كوكب الصباح

أو

فؤاد الصادق



تأليف السير ريدر هجارد



تأليف

المسيو ريدار هجارد

تطلب من المكتبة التجارية بشارع محمد علي بمصر

لصاحبها مصطفى محمد

المطبعة الرحمانية

ظهور «كا»

بزغت شمس الغد فأخذ الاطباء يشتغلون بتحنيط جثة فرعون فى حين كانت كركب تستشير ضباطها ، وكانت المناقشة طويلة جادة اذ أحس الجميع بحرج الموقف وشعروا بالخطر الجسيم المحدق بهم

فقد هرب الامير آى وهو يعلم جيداً انه ان وقع فى الاسر مرة أخرى لقى حتفه هو وجميع أسرته على جرائمه وأعماله السحرية التي لا يمكن ملاشاتها الا بوسيلة واحدة — هي الزواج بملكة مصر . وفوق ذلك كان لدي آبي ألوف من الجنود فى المدينة وحولها قد أقسموا جميعاً له يمين الطاعة فى حين كان حرس الملك لا يتجاوز خمسمائة جندي .

اقترح أحدهم أن يشقوا لانفسهم طريقاً من سور الهيكل ويركبوا السفن الملوكية الراسية خلفهم فى النيل . فوافق المجلس على هذه الفكرة غير أنهم لما شرعوا فى تنفيذها وجدوا أن

السفن قد أبعدت عن مكانها وأرسلت الى جهة أخرى فلم يجدوا أمامهم والحالة هذه غير أحد أمرين فاما البقاء داخل حصون الهيكل القديم و رسال الرسل لطلب النجدة والمساعدة أو السير بسالة في المدينة والتغلب على أبوابها اذا كانت مقفلة في وجوههم ثم الاستيلاء على السفن والسفر الى احدى المدن التي لا تزال باقية على الولاء أو اذا لم يكن ذلك مستطاعاً ساروا على الاقدام الى مدينة أخرى

ووافق بعضهم على هذا الرأي وأيد بعضهم ذاك وفي النهاية ترك الامر لجلالة الملكة فقالت بعد أن فكرت هنيهة

- لا يمكن أن نبقى هنا لنموت جوعاً قبل أن تتمكن جيوش فرعون من القدوم لانقاذنا ولا نستطيع أن نضع أنفسنا تحت رحمة هذا الطاغية قاتل المعبود أبي . انني أوثر الموت وأن أقاتل في الشوارع — وهي الوسيلة التي أستطيع أن ألحق بها بفرعون طاهرة نقية وتضمني له في مكانه الابدي وراء الشمس — على ابتداء هنا ... وعليه يجب أن نخرج من المدينة عند منتصف الليل

فحنى الضابط وأعضاء المجلس رؤوسهم اجلالا وذهبوا لتنفيذ ارادتها في حين أخذ نساء فرعون في العويل والبكاء . ووقف المنادون فوق الابراج العالية وأعلنوا أن كوكب الصباح ابنة آمون ذات جلال رع وجمال هتحور [illegible] ملكة مصر الوحيدة وحاكمة الارض العليا والسفلى . وقد [illegible] بعض الجماهير عند

المناداة بكوكب الصباح ملكة على مصر ولكن السواد الأعظم لزموا الصمت مخافة انتقام أميرهم آبى

أرخى الليل سدوله وفى منتصف الليل أعطيت الاشارة ففتحت الأبواب وأخرجت رفاة فرعون محمولة على أكتاف مستشاريه يتقدمها شرذمة من جنود الحرس ويتبعها نساؤه وحاشيته يسيرون بخطوات بطيئة تحفهم المهابة والجلال كأنهم لا يخشون أذى . وكان الكهنة والمرتلون يرتلون اناشيد الموت ثم يليهم حملة الامتعة ثم الحرس الملكي محيط بمركبة الملكة كوكب الصباح وكانت تلبس درعاً وتحمل ترساً وقوساً والى جانبها مربيتها آنستي زوجة مرمس

سار هذا الجمع أولا دون ان يقع حادث لان الميدان الواسع الواقع امام الهيكل كان خالياً . ثم اجتاز هذا الميدان ووصل الى الشارع المؤدي الى الباب الاكبر وكان لا يزال منهم على بعد ميل على انه لما أخذ جنود الحرس يتأهبون للسير في هذا الشارع ألفوا جماعات كبيرة من الرجال فى وجوههم وقد سدوا الطريق وكانوا مختفين فى شوارع أخرى ثم سمعوا صوتاً يقول « وقوف »

عاد حرس فرعون اذ ذاك الى الالتفاف حول الملكة وبينما كانوا يقومون بهذه الحركة تقدم جماعة من ضباط آبي وبينهم أربعة من اولاده وطلبوا باسم الامير ان تسلم اليهم الملكة قائلين

أنهم سيعاملون بكل احترام وأن الذين معها سيؤذن لهم بالذهاب الى حيث شاؤا

فأبلغ أمر هـذه الرسـالة الى الملكة فصاحت بأعلى صوتها قائلة :

— قل لهم ان ملكة مصر لا تخضع للثوار والقتلة ثم انقضوا عليهم واقتلوهم على بكرة أبيهم ولا تدعوا منهم أحداً

فذهب مرمس وأبلغهم أمر الملكة ثم تطايرت سهام الحرس الى قلوب اولاد آبى الاربعة والذين كانوا معهـم ثم تلى ذلك معركة حامية لم تشهد مصر لها مثيلا منذ أجيال . نعم كان رجال الحرس الملكي قليلين ولكنهم كانوا من الجنود المنتقاة وقد ذهب اليأس والغضب بعقولهم . وفوق ذلك لم تلعب كوكب الصباح دور النساء بل اشـتركت مع الجنود وهم يحملون على جنود آبى فقد شوهدت فى ضوء القمر وهي واقفة كالهة غضبى فى مركبتها وهي ترسل سهامها من قوسها الى قلوب الرجال . ولم تصب الملكة ولا الذين كانوا معها ولا جيـاد مركبتها بأقل أذى كما لو كانت تحميها قوة غـير منظورة تعودت ضربات السـيوف وتلوي عنهـا أسنة الرماح

بيد أن جنود فرعون على رغم بسالتهم وشجاعتهم النادرة لم يستطيعوا التغلب على الجيش الجرار الذى جمعـه الامير آبى لمقاتلتهم فأخذوا يرتدون شيئاً فشيئاً وقد أخذ عددهم فى النقصان

قد نجيبا الى أن وصلوا الى أسوار هيكل المعبودة «سخت» ثم في فنائه الخارجي واذ ذاك حاولوا بقيادة البطل مرمس - وكان عددهم لا يتجاوز خمسين رجلا - أن يدافعوا عن الابواب فقاتلوا قتال المستيئس وهم يسقطون الواحد تلو الآخر تحت وابل من السهام

وكانت كوكب الصباح قد نزلت من مركبتها و رتكزت على قوسها لان سهامها كلها كانت قد نفدت وأخذت تراقب سير المعركة و ستى و قفه الى جانبها . فتغلب جنود الامير آنى بعد [illegible] عظيمة على جنود الحرس واستولوا على الابواب

[illegible] من بقي على قيد الحياة من جنود الحرس اذ ذاك حول المكان وكان عددهم [illegible] رجلا وهم يتسترون حصوة خطرة في الافنية الداخلية للهيكل ثم [illegible] الى سلم البرج

في هذا المكان [illegible] الجنود الآخرون و [illegible] يدفعون [illegible] حتى [illegible] منهم على قيد الحياة غير كوكب الصباح و ستى و [illegible] من روحه وكان قد أصيب بجروح [illegible]

وصل [illegible] في صحة صغيرة واقعة بين غرف الملكة وغرفة ستى وحصير [illegible] . وكان مرمس قد اشتد [illegible] حزنه و [illegible] ستى وفناها ثم حني رأسه [illegible]

- [illegible] رجل أن يبذله للدفع عن

جلالتك . وسأذهب الآن لابلغ فرعون ما فعلته وأتركك فى يد آمون الذى سيحميك وحماية رامس ولدى . . . الوداع يا ابنة آمون الى أن أرى نجمك ساطعاً فى ظلام العالم السفلى .. والوداع يا آستى أيتها الزوجة الوفية المحبوبة

ثم صاح صيحة الحرب التى كان يصيحها أجداده الذين جلسوا على عرش مصر وأمسك حسامه بكلتا يديه وحمل على الاعداء وأخذ يفتك بجموعهم الى أن خر هو على الارض صريعاً

وكانت آستى قد غطت وجهها بكلتا يديها واستندت الى الحائط فنادتها كوكب قائلة :

ـ تعالى معى يا زوجة البطل المغوار

فقالت آستى :

ـ اننى أرملة لا زوجة أيتها الملكة . ألم تريه وقد سقط قتيلا .

أخذت كوكب مربيتها آستي من يدها وصعدت معها بضع درجات أخرى حتى وصلتا الى قمة البرج حيث جلست آستى وأخذت تبكي حظها . أما كوكب فذهبت الي حافة البرج ووقفت هناك تنتظر النهاية . وكانت الشمس قد أشرقت من ناحية الصحراء فى سماء صافية

وقفت كوكب فوق قمة البرج تلبس درعاً لامعة وعلى رأسها خوذة على شكل تاج مصر السفلى فكانت وهى واقفة فى أشعة

الشمس الذهبية كجسم ملتهب . وقد رآها ألوف من الناس في الشوارع والزوارق فصاحوا صيحة الاعجاب قائلين

— انظروا ابنة «آمون — رع» وقد لبست ثوب البهاء والجلال !

صعد الجنود على السلم الى سقف البرج وشاهدوها أيضاً ومعهم الأمير آبي فقال هذا وهو يلهث من شدة التعب

— اقبضوا عليها

ولكن الجنود نظروا وارتدوا الى الوراء أمام جلال الملكة وهي ترتدي لباس الحرب ثم قالوا

— انها فرعون . ان سيف فرعون واقف أمامنا

فقالت بصوت صاخب :

— اسمع أيها الآبي يا من كنت من أمراء مصر وحاكماً على مدينة منفيس وصرت الآن ذئباً سفاكاً للدماء ومغتالاً لحياة خيك الملك وحياة كثيرين — اسمع الى أنا ملكة مصر المدعوة ...ريت . لقد تمنيت عليك ايها الرجل بالموت في هذه الحياة وفي الآخرة . خطوة خطوة وحدة نحو جلالتي الق بنفسي أمام عينيك وعين الالوف الذين يراقبوننا من هذا المكان المرتفع الى ... امتثال قبل أن ألتحق بوالدي فرعون وأقدم ... سكونا منذ ... الآلهة . ستمس حية لحمك وتقرض ... ثابت . وستحوم روح فرعون وأرواح

الذين قتلتهم فوق رأسك فلا ينغص بك حظ ولا تعرف معنى السعادة ساعة واحدة وإذا جلست على عرش فسيكون كهذا المكان مرتفع الذي أقف فيه الآن تحيط بك هوات سحيقة من كل جانب وفي النهاية تهوى فتموت موت العار وتقبض عليك لحة الشر وتحرك أيها الخائن إلى كل الأرواح فتتلاشى إلى الأبد أنت وأهل بيتك وجميع من لهم بك صلة . بهذه الكلمات اختتمت كوكب نصائح لساك أبيها فمد . ح دو آمون . في الآذة . . . يختم

. . . ختم . . . خطر أرديت السلاح ووحمدنا الآخر حتى لم يبق فوق قمة البرج غير الملكة وآستي وقد جلست تحت قدميها والأمير آبي عمر

نظر إليها آبي وحاول أن يتكلم ثانيا ولكنه استعتى . . . التارة الرابعة فقال بصوت مبحوح

— رفقي عني لعلك أيتها الملكة القادرة تعاف تدمير . لقد علمت الليلة أن جميع أولادى قتلوا عارفين أنمنت ودمعي وحكوني ، ومع أن رغبتي فيك أعظم من رغبتي في عرش ذى . . . سأدعك تذهبين

فقالت كوكب :

— كلا . لا أستطيع . أنت أنا التي أتكلم . . . هو . . . في أي . . . من شعر أنها للعين فإن اللعنة باقية عليك .

فاضطرب آبي خوفاً وقال :

ـ سيكون ذلك يا ابنة آمون . انني لا أخشى شيئاً وسأفعل كل ما أستطيع من الشر . لقد مات فرعون عدوي وستكونين أنت زوجتي من تلقاء نفسك والاستموتين جوعاً في هذا البرج . ان الموت لايزال بعيداً وسأتمتع بالحياة سواء شئت أن تحكمي معي أو أردت أن تموتي جوعاً يا ابنة آمون

فقالت كوكب :

ـ وأنا أقول لك يا ابن . ست ، أنك بعد موتك ستعاني آلام تلك الليلة التي لايأتي لها صبح

ولم يجد آبي جواباً حول وجهه وذهب

وقفت كوكب الصباح بعد ذهاب آبي هنيهة تنظر الى الالوف المحتشدة في الميدان الكبير الذى دارت فيه المعركة وهم ينظرون اليها ساكنون كأن على رؤوسهم الطير ثم نزلت الى غرفتها وأخذت آستي من ذراعها

انقضت سنة أيام والملكة كوكب الصباح ومربيتها آستي تعانيان آلام الجوع في برج الهيكل . وقد فرغ الماء بعد هذه المدة وكان في غرفتها كمية منه . أما الطعام فلم تذوقا شيئاً منه غير كمية من العسل جمعتها آستي من خلايا النحل من بين أحجار البرج فنفدت هذه الكمية كذلك . وقد اختارت الملكة كوكب الصباح في أيام حكمها التالية النحلة ، لتكون رمزاً لملكها

اعترافاً منها بالمساعدة التى لقيتها منها في تلك الايام العصيبة

قالت كوكب :

ـ تعالى يا أماه نصعد الى سقف البرج لنرى الشمس وهى تغرب وراء الافق . وربما كان ذلك لآخر مرة لانني أظن أننا نتبعها الى الابواب الغربية

فصعدتا تساعد كل منهما الاخرى وقد أصابهما الضعف والهزال . ومن هذا المكان المرتفع شاهدتا أن الامير آبى وضع سفنه الحربية حول الهيكل من ناحية النهر وأحاطه بنطاق مزدوج من الجنود في حين احتشد وراء الجنود ألوف من السكان الذين كانوا يراقبون الملكة وهي سجينة فى الهيكل

فلما وقع نظرهم عليها وهي تدندى درعها اضطربت جموعهم كما تضطرب أمواج البحر ثم لزموا الصمت ثانية اذ لم يجرأوا على اعلان الحزن الشديد الذي حرك قلوبهم عطفاً عليها

رفعت كوكب الصولجان وسط هذا السكوت الرهيب صوتها الرخيم وقد آذنت الشمس بالمغيب وأخذت تختفى وراء اهرامات الملوك القدماء وغنت ترتيلة المساء شكراً لابيها المعبود آمون — رع ولما تلاشت الدقات الاخيرة فى الجو الهادىء ارتفعت الأصوات مرة أخرى . ثم حجب الظلام جدران الهيكل فحجبها عن أعين الناظرين

زات ورَكَب و آستي الى مخدعها ويد حداها، ويد الاخرى
ثم صعدتا قالت كركب :

- ان نسعد بالقبر في من عندنا يا آستي . فلنرقد في فراشنا
حتى نموت جوعاً

ثم قالت آستي ناثلة :

- كلا . فهم لا يستطيعون ايها الملك . ان سيعودون حين
تنضب زيأخذ بمصر المساكين . هل تذكرين الكتب التي تاه
بها روح انهور المقدسة :

- نعم اتذكرها يا آستي

- لقد تفكرت طويلا ايها الملك لان زوجة التي أمرتها
لي أملك لا تستعد غير مرة واحدة ولكني الآن واثقة بأن
الوقت قد حان لاستدعاء ذلك الذى يقطن في دخائلك لساعدتك
وتقذلك من هذا الخطر المحدق بك

فقالت كركب بقلق :

- فلن نستدعيه يا آستي ما استطعت . أما فاننا نستطيع
ان نفر من الموت . ولكن أخبريني عن كيفية استدعائه
من ستدعين حالا توتن وتسمع فرعون وسيسمح من أدورا
... لانه ... :

قالت آستي :

- لا انوي ... أحد ... يا كركب لا ... أمرت بأن

أفعل شيئاً آخر . اذهبي الى فراشك يا ابنتي ونامي لان لدى أعمالا كثيرة في الظلام ستعطين كل شيء اذا ما استيقظت من نومك

فقالت كوكب :

ـ ثم اذا ما استيقظت وأظن انني لن أستيقظ . هل تريدين أن تقتليني أثناء نومي يا آستي ؟ هل هذا ما أمرت به ؟ حسن . اذا كان الامر كذلك فاني لا ألومك لانى سأنضم الى احضان فرعون وأمي سور المقدسة التي حملتني وهناك في عالم السلام أنتظر رأس حبيبي . ولما كنت من ملوك مصر فانهم سيدفنونني في قبر والدى وهذا كل ما أطلبه منهم ومن هذا العالم الردىء المملوء بالآلام . غني لى حتى أنام يا أماه كما تعودت ذلك وأنا صغيرة واذا أردت لا تتأخري كثيراً في القدوم ورائي

ذهبت كوكب الى فراشها فأخذت آستي يدها النحيفة وانحنت فوقها وسط الظلام وأخذت تغني لها أغنية النوم البحرية

أغمضت كوكب عينيها ونامت . فأمسكت آستي الساحرة عن الغناء واستجمعت قوتها السرية وصلت حتى طهرت نفسها وصارت تجرأ على القاء التعويذة الرهيبة التى أسرتها اليها روح الموت

ما كادت آستي تفوه بالكلمات المقدسة حتى تعالت أصوات مروعة وسط الليل واهتزت جوانب الهيكل وتكسرت الكرة السحرية المصنوعة من البلور التي كان ينظر فيها كاكو ومرنبرا

وسقطت بينهما وقام أبي من فراشه وقد علت وجهه صفرة الموت من شدة الخوف

نامت آستي بعد ذلك فساد سكون عظيم يشبه سكون المقابر

استيقظت كوكب الصباح فرأت نور الفجر قد انبثق ثم دارت بعينيها فرأت على نوره الضئيل آستي بثيابها السوداء نائمة على مقعد رأسها وقد أسندت يدها وبعد ذلك اقترب نور من مؤخر سريرها فرأت خيالا قد غشي بضوء ضئيل كأنه اشتق من نور النجوم والقمر وعلى رأسه تاج مصر المزدوج ويرتدي ثيابا ملكية — وكان هذا الخيال هو « نفسها »

علمت كوكب ادراك أنها في حلم من الاحلام فاصطحبت مدة سويئة في فراشها وهي ساكنة اذ سرها على رغم ماتعانيه من ألم الجوع والبؤس وهي أسيرة في أيدي أعدائها — أن تنظر الى هذا الخيال الجميل الذي يمثلها قبل أن تقع في هذه الآلام الشديدة وقالت في نفسها : لو كانت الاحوال سارت في مجراها الحسن لكنت مثل هذا الخيال جمالا ورشاقة وهو يلبس تاجي وثيابي الملكية وحلي . ولكن هذا هو نصيب الامراء أمثالي الذين كان يظن أن عروشهم مشيدة فوق الصخور وقد تبناهم ابو الآلهة

لم تشعر كوكب في كل أدوار حياتها بشيء مما خالج نفسها الآن . وكانت نفسها الابية الى تلك الساعة حافظة لكبريائها وشممها على رغم ما تساورها من آلام الجوع والخوف ولكن

حياتها تبدلت في تلك الساعة اذ علمت أن نهايتها قريبة وأدركت أنه ليس ثمة أقل فرق فى النهاية بين أعظم ملكة فى العالم وبين أحقر قروية اللهم الا ماهنالك من الفروق بين روحيهما

رقدت كوكب وهى كالخيال وقد كتب عليها أن تختار بين أحد أمرين : فاما الموت جوعاً واما الزواج برجل لاتريده . ترى ماذا يفيدها اذا كانوا يسمونها كوكب الصباح ابنة آمون وابنة فرعون الوحيدة ويدفنونها بعد موتها باحتفال رسمي ويقشون اسمها بين ملوك مصر فى حين يجلس آبي المغتصب على عرشها ؟

امتلأ قلبها المسكين ألماً وحزناً وفاضت نفسها غماً وكدراً كما يفيض الاناء بالماء. ولاعجب فقد عز عليها أن تموت فى عنفوان شبابها وأن يغتصب تاجها وتعجز عن الانتقام لنفسها وتأخذ معها حبها العظيم الذي لم يثمر. ثم قالت فى نفسها : ترى ألتقي برامس وراء القبر ؟ وهل أتزوج به وألد هناك أولاداً بدلا من أن أحس وهو الى جانبي على عرش مصر ؟ وهل يعيد ازوريس الي جسمي وأنني آمون أبي أو هل أهبط الى الظلام الابدى حيث لاشيء غير الموت ؟ آه من لى بساعة واحدة أتمتع فيها بالقوة والحرية : ساعة واحدة أقض فيها بجيوشي على نفوس الثائرة وأجعل عاليهم سافلهم وأحرمهم طعمة للنيران والتي بحا كمها المنعون الى أنياب الوحوش.

أبرقت عينا كوكب لهذه الفكرة وارتفع صدرها. النحيف فاذ

جرى . رأت كوكب عيني الشيخ الواقف تحت قدميها قد أبرقتا وهزّ صدره مثلها :

عجبت كوكب ولكن لم تلبث أن ذهب عجبها فإن الوجه البهي مال نحوها قليلا وخرج من شفتيه الرقيقتين صوت عذب رقيق - هو صوتها - يقول :

- مرحبا بالسائلين أيتها الملكة تنفذ ارادتك . انني خادمتك يا كوكب الصباح وابنة آمون

فجلست كوكب في فراشها وضحكت ضحكة استهزاء لما رأت وسمعت ثم قالت :

- أآمر ؟. أتنادي ؟ ماذا تسخر مني أيها الحلم ؟ دعني أفكر . هل تريد معرفة ما أشتهي ؟ حسن . انني أطلب ما يطلبه الناس المساكين . . . أطلب جرعة من الماء وكسرة من الخبز

فأشار الخيال بصولجان مصنوع من البلور في يده الى المنضدة وقال :

- هناك ماتريدين

فحولت كوكب نظرها وهي لاتصدق ماتسمع فرأت على المنضدة كأساً من الفضة ملأى ماء صافياً وبجانبها طبق من الذهب فيه كعك من الخبز. فمدت يدها وتناولت الكأس الفضية التي أعطاها اياها والدها فرعون وهي طفلة ورفعتها الى شفتيها وشربت ماء سائغاً أطفأ نار ظمأها ثم مدت يدها مرة أخرى

وتناولت الكعك فأكلته كله . ولما أكلت اللقمة الاخيرة منه صاحت قائلة :

— ويحي أنا الشرهة . لقد شربت الكأس كلها وأكلت الكعك دون أن أترك شيئاً لامي تسي الناعمه التي تعانى مثلى ألم الجوع

— فقال الشبح:

— لا تخافي . انظري . هناك ماء وحجر

— وفي الواقع . امتلأت الكأس مرة اخرى بالماء وضع على الطبق شهي كعك آخر

تكلم الخيال مرة أخرى قائلا :

— لا ريب فى أن هناك اماني أخرى تتمناها يا كوكب غير هذه الاشياء المادية

ـ نعم أيها الخيال . انى أريد الانتقام من آبي الخائن . آبي قاتل والدى الذى يريد أن يلبسني ثوباً من العار . أريد الانتقام من آبي ومن يلوذ به

فحنى الخيال اللامع رأسه ومد يده المتلألئة وقال :

ـ انى خادمك المطيع . سأنتقم لك انتقاماً لا تحلمين به ، انتقاماً يتقطر نقطة نقطة كالسم في عروقه. فسيعاني عذاب محب هجره حبيبه ، وآلام الخوف المزعج ، وآلام القوة التى تعطى له ثم

تنزع منه ، وآلامه موت العار ثم الآلام الأبدية — سينال آبى هذا الانتقام ومن يلوذ به . . . هل لديك أمنية أخرى يا كوكب الصباح ؟

فقالت كوكب

- نعم لديّ ولكني لا أبوح بها لاحد حتى ولا لنفسى وأنا نائمة في الفراش

فقال الشبح :

- ستعطي لك أيتها الملكة المقدسة . فستجدين حبيبك ولو نك ستقبلنه فى بلاد نائية وسيعود معك وتحكمان على مصر العليا والسفلى وعلى جميع الاراضى الواقعة وراءها بمجد وبهاء لم يكن لهما مثيل في مصر

فقت كوكب ذ ذلك وفركت عينيها بيديها ثم نظرت فرأت ... وهى نائمة وبجانبها الخبز وعند قدمي فراشها شبحها البهي يضيء فى نور الفجر الضئيل وهو يرنو اليها نظرة اخيرة فصاحت قائلة :

- من أنت : هل أنت إلهة أو روح أو هل أنت خيال كاذب صورته لي حمى .

- لست شيئا من ذلك يا كوكب . انا شخصك أنا الكا ، ... ومعه آمون وقت ولادتك فى داخلك ليحميك ويحفظك . لا تتذكرين عندما كنت تلعب معك وأنت لاتزالين طفلة صغيرة ؟

قالت كوكب :

- نعم أنذكر . فقد حذرتني من خطر التمساح المقدس . ولكنى لم أرك منذ ذاك الوقت . من الذي منحك قوة حتى ظهرت مجسما أمامي ؟

- ان سحر آستي الذى منحت ياه لانقاذك يا كوكب هو الذى أعطاني هذه القوة . اعلمي اننى رفيقك الى الابد ولو انك لاتستطيعين أن تريني دائماً . انى أرافقك في الحياة ، وفي المات لاحفظك في قبرك وأحفظ لك حكمتك وجمالك وكل مالك الى يوم يبعثون . انى ذو قوة ولدى المعرفة السرية التى تقطن في داخلك مع أنك لا تدركينها وأتذكر الماضى ، الماضى البعيد الذى تجهلينه وأتنبأ بالمستقبل - المستقبل الذى لانهاية له : المستقبل الذى لاتعرفيه . انى أرى وجوه الآلهة واسمع همسهم . استطيع القدر كما لاتقرأه وأنا في حمى الالهة الذي ارسلني والذي اليه في النهاية أعود بعد انقضاء رحلتي و انتهاء مهمتي وأنت بين ذراعى المقدسين . اعلمي يا كوكب أن سحر آستى قد ألبسنى هذا الجسم السحرى وأرسلنى قوة آمون على قدمى . . أنا هنا خادمك المطيع .

دهشت كوكب لقوله وحارت في أمرها فصاحت قائلة :

- استيقظي يا أماه . استيقظي لأنى حلمت بحلم . الم أن رسولا سماوي يتكلم معي

فتحت آستي عينيها ولما رأت الخيال الجميل وقفت ثم حنت رأسها اكراماً له ولكنها لم تنطق بكلمة

قال ركب :

ـ اجلسي وصغي الى فن لوب تصير . ستبقى عند نداءك وها قد أتيت وسأبقى حتى تذهب عنك الرقبة وتعود من حيث أتيت . انك أيتها العاملة مشتبهة الي أنا انها لكي أنقذها بطريقتي الخاصة . . . ها أمامك الطعام . كلي واشربي ثم تكلمي

فأكلت آستي وشربت كما شاءت كوكب ولما سبحت تلاشت الكأس والطبق

قالت آستي بعد ذلك بصوت ملؤه حنين :

ـ أصغ الي يا الشباب . هذه قضيتي : اننا هنا نعاني ألم الجوع وبا خطر آفي الشلشن النهية خارج الابواب فاذا عاشت الملكة تزوج بها على رغم ارادتها واذا ماتت استولى على عرشها لقد عجزت حكمتنا فماذا يجب أن نفعل حتى يضيء هذا الكوكب الى أن تأتي الساعة المعينة لغروبه ؟

فلما فرغت آستي من كلامها قال ركب :

ـ هل هذا كل ما تطلبين ؟

فأسرعت كوكب قائلة :

ـ كلا . لا أريد أن أضيء وحدي . انني أبحث عن نجم آخر ليضيء معي

فقال « كا » :

- هل لديكما ايمان وهل تضيمان : لانني بدون ايمان لا أستطيع أن افعل شيئاً

نظرت آسنى الى كوكب وكانت مطأطئة الرأس فقالت كوكب :

- انتما مؤمنتان وسنطيع ما تأمرنا به

فقال الخيال :

- انكن ما تقولان . سيأتي آني الآن ليسأل الملكة عما اذا كانت ترضى الزواج به أو يرضى البناء هنا حتى تموت جوعاً . وسأذهب انا الى أتشكل الآن بتكل الملكة لأكون زوجته ... وسأكون زوجة لم يرها رجل من قبل

ولما نطقت « روحه » بهذه الكلمات بدت على وجهها علامات السرور واتقدت عيناها ثم قالت .

- الويل كل الويل لرجل يتزوج بخيال يعقته

ففهمت آسني وكوكب معنى كلماتها وابتسمتا ثم قالت كوكب :

- اذن ستجلسين في مكاني ويجلس آني على عرش فرعون كزوجك فيجده قسياً : ولكن ماذا يصيب مصر وشعبي ؟

- لا تخافي على مصر ولا شيء عرفت يا كوكب فسيكون الجميع في هناء لى أن تعودى وتقابلي بعطفك

فقالت كوكب :

- والآن ماذا افعل انا ورفيقتي ؟

فرفعت صولجانها وأشارت الى النافذة المفتوحة بينهما وكانت مياه النيل الصافية تجري تحتها على بعد مئات من الاقدام وقالت :

- القيا بنفسيكما الى احضان النيل

فنظرت كل من آستي وكوكب في وجه الأخرى ثم قالت كوكب :

- هذا معناه أننا نلقي بأنفسنا فى أحضان اوزوريس لانه لا يسقط أحد من مكان عال كهذا ويعيش

- هل تزعمين ذلك يا كوكب ؟ أين ايمانك الذى وعدت به والذي بدونه لا أستطيع أن اعمل شيئاً ؟ كلا لا أزيد على قولى كلمة . افعلا أمرى والا اتركانى أذهب وافعلا مع آبي ما تشاءان . اختارا ماشئتما لانه أحد يقترب الآن منكما

وبينما كانت تنطق « روح » كوكب بهذه الكلمات سمع باب الهيكل وهو يفتح . فاضطربت كوكب ثم تقرت من مكانها وصاحت قائلة :

- قد استقر رأيي . لن يقال ان ابنة فرعون كانت جبانة . ان سدر اوزوريس خير من ذراعى آبي الدنسين . قد وضعت ثقتي في آمون أبي وفيك ايها الطيف

ثحول الخيال نظره منها الى آستي فقالت هذه :

- سأذهب الى حيث تذهب سيدتي عالمة نأن مرمس دائما

في انتظاري . . . ماذا تفعل ؟

فأشارت « كا » اليهما ليقفا فى النافذة المطلة على النيل ففعلتا وقد احتضنت كل منهما الاخرى ثم رفعت صولجانهما وفاهت بعض كلمات

فر لهب من النيران أمام أعينهما ومست الرياح جبهتيهما وبعدئذ لم تعرفا شيئاً

الفصل الحادي عشر

حلم بى

في الليلة التي استدعت فيها ستى روح كوكب الصباح كان كاكو الساحر ومرتيرا الجاسوسة التي كانت وصيفة فرعون جالسين معاً في الغرفة العليا حيث نفعت مريرا وعدها وأخذت التمثال السحري. وكانت مرتيرا مرتبكة الفكر حائرة تنظر بخوف في ما حولها فقال لها كاكو

- مالي أراك قلقة شاردة الفكر يا مرتيرا لقد سار كل شيء في مجراه الحسن وفي التمثال السحري الغاية المطلوبة

فقالت مرتيرا بحدة

- لقد خدعتني أيها الساحر. لقد وعدتك أن تجعل فرعون عاجزاً عن المشي فقط ولم أعدك بقتله

فقال كاكو

- اسكتي أيتها الحبيبة. إن التمثال كلمة مطبعة ونهاية النية وحينا . . . حبيبا، هل أخطأت إذ كان الكاهن لاحق قد حاول أن يجري التمثال على عرشه في الهيكل فقتل فرعون في هذه الصورة التي يؤسف لها:

فقالت مرتيرا

- كلا . ليس خطأي ولا خطأ الكاهن بل هو خطأك وخطأ آبي الناصين وخطأ « ست » اله الشر سيدكما . لقد تحملت تبعة عملكما لان المالكة وآستي قد عرفتا الحقيقة وسيعلمها الجميع فيجعلوني طعمة للنيران كساحرة وأرسل الى العالم السفلي ويداي ملطختين بدم فرعون الذي لم يعاملني بغير الحسنى . والآن ماذا يصيبني ؟

لم يدر كاكوبجت بم يجيب . قام ووقف امامها وأخذ يحك لحيته باظافره وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة خبيثة

فقالت مرتيرا

- لا تنظر الى كانقردو اخبرني ما هي نهاية هذا العمل السيء .

فقال كاكوبجبت

- لماذا تربكين نفسك وتهتمين بمعرفة النهاية أيتها الحسناء انها دائما بعيدة واعتقد أحسن الفلاسفة بانه لا يوجد هنالك شيء يسمى نهاية . انك تعرفين الرمز المقدس الحية التي تضع ذنبها في فمها وتحيط بالارض وهي تبتدئ من حيث تنتهي وتنتهي من حيث تبتدئ ومن الممكن ان تشاهديها في أي نهر . . .

فقاطعته مرتيرا قائلة

- لا تخض في حديث الحيات والقبور ان مجرد التفكير بها يؤلمني

- بكل ارتياح ياحبيبتي . لندع حديث المقـابر والجثث ولنخض فى حديث القصور والحياة . فاعلى أننا نأسف على موت فرعون بهذه الحالة وموت جميع حرسه وقتل أولاد آبى الاربعة ومع ذلك أقول مرة أخرى ان الاحوال سارت بالنسبة الينا في مجراها الحسن ، فقد تلقيت اليوم كتابا من الامير آبي بتعييني وزيراً وأول مستشار للملك وسينفذ هـذا الامر عند ما يجلس على العرش ولا بد أن يكون ذلك . وقد دعوتك اليوم باسم زوجتي رسمياً كما وعدتك فانت يا مرتيرا زوجة الوزير الاكبر والسيد العلى الشان ورفيق ملك مصر الأكبر وهو مكان رفيع لامرأة لم تكن في المدة الاخيرة الا جارية فرعون ووصيفته

فقالت مرتيرا

- اعلم يا كاكو ان الجلوس على كرسى من الخشب البسيط أعظم هناء من الجلوس على عرش ذهبي ملطخ بالدماء . اصغ الي يا كاكو . انني خائفة . انك تقول انك أعظم عالم باسرار المستقبل حسن . انني أريد معرفـة المستقبل فاكشفه لى اذا لم تكن من الجاهلين

- كيف ترميني بالجهل يا مرتيرا ؛ هل نسيت التمثال السحرى ؟

- قد يكون ذلك من محاسن الصدف ، فقد كان فرعون مريضاً منذ مدة طويلة وانتابته نوبة شديدة فى المدة الاخيرة فاذا لم تكن محتالا خداعا أرني المستقبل فى هذه الكرة السحرية .

أرنى المستقبل مهما كان سيئاً لأعد العدة لمكافحته

ـ حسن سنجرب ذلك يا زوجتي ولو أنه يجب أن يكون الانسان هادئ البال عند رؤية مثل هذه المناظر العظيمة واخشي انك مضطربة البـال . . . كلا لا تغضبي . سنجرب . سنجرب . أجلسي هنا الآن وانظري والزمي الصمت قبل كل شئ ريثما القى التعويذة اللازمة

أخذ كا كو ومرتيرا ينظران الى الـكرة وهي مدلاة فوق الطاولة . وكان كا كو يلقي صلواته وتعويذاته فانقضت مدة طويلة لم تر مرتيرا في خلالهـا شيئاً الى أن رأت في النهاية ظلا داخـل الـكرة انقشع فظهر خيال فرعون الميت وقد أدرج في أكفانه فحولت مرتيرا نظرها لتصرخ ولـكنها رأت الخيـال كأنه فك يديه من الاربطة التي التفت حوله وضرب الـكرة فانكسرت فجأة وتطايرت أجزاؤها فى الغرفة وأصاب جزء منهـا فم مرتيرا فطار سنين من أسنانها الامامية وجرح شفتيها

صرخت مرتيرا اذ ذاك وسقطت على الارض في حين قفز كا كو من كرسـيه كأنه يريد الفرار ولـكنه وقف سا كناً فى مكانه وهو ينتفض خوفا وفرقا

قامت مرتيرا ومسحت الدم من فمها ثم صاحت قائلة

ـ ماذا جري ؟

فاجاب كا كو بصوت مضطرب

ـ لا أدري . يظهر ان الآلهة لا تريد أن نعرف المستقبل
الذي أردت معرفته يا مرنير . فماذا تتمنين به الآن
فصرخت مرنير وقالت
ـ قد تتمتع به الآن . طرما ... ثم مجروح
وساق مكسورة ... شد أصبحت ذميمة خلقه أنا التي
كنت جميلة . لقد كسر فرعون السكرة ... التي ... في
وجهي . لقد رأيته فعل ذلك و ... وصمته ...
... جاريت أبي الحق على غدرت هذا
ثم هجمت على ... وضربته به على
رأسه لا ... صيحة
في ذات ... وحده ... وهو
... على ... في ... على ...
وهو ... من شدة الخوف و ...
ـ ماذا جرى هنا : هل هذه الطريقة التي ... تدرس أسرار
سحره و ... يا كاكو .
فحاول ... أن يحيي رأسه ... الامير ... فنان
... وهو ... خادمه تحاول أن تضربه ... حمراء ثم قال
ـ كلا أيها الامير ... روحي ... الا . فقد
... هذه ... على أثر حادث بسيط أصابه
فصاحت مرنيرا ثائرة

- أعد قولك هذا على مسامعي مرة اخرى ألق بك من هذه النافذة فلا ينفعك سحرك . أنظر أيها الامير ما فعله في بسحره المأفون

ثم أرته السنين المكسورين وقالت :

- يضع هذ الشرير روح فرعون الذي أغراني على موته داخل الكرة السحرية حيث رأيته مدرجاً في أكفانه ثم جعل فرعون يلقي بكسر الكرة ويرمي بشظاياها

فصاح آني قائلا :

- الزمي الصمت أيتها المرأة والا أمرت بضرب قدميك حتى تؤلمك أكثر من آلام فمك . ماذا فعل روح فرعون ؟ انني قادم الى هنا لأتحدث معك يا كاكرع عن هذا الروح

- أيها الامير المبجل حاكم التمثل ابن الملوك وابن الملك ..

فصاح آني قائلا :

- كفي ذكر هذه الالقاب أيها الخادع واصغ الى لاني في حاجة الى مشورة واذا لم تستطع بحثت عن رجل سواك . اعلم اني كنت الآن نائماً في فراشي فرأيت حلماً مروعاً . ذلك اني رأيت في المنام اني استيقظت من نومي فشعرت بجسم نائم بجانبي فتفقدته فاذا هو جثة أخي فرعون مدرجاً في أكفانه . . .

فقاطعته مرتيرا قائلة :

- كما رأيته داخل الكرة . هل رشقك بالحجارة كذلك أيها الامير ؟

- كلا أيتها المرأة انه فعل ما هو أدهى وأمر ، فقد قال لي - . لقد سببت لي الموت الشنيع أنت وتلك المرأة التي ربيتها بين أحضاني فكانت حية قاتلة وخادمك الساحر الخبيث شريكها ، وتركت ابنتي ملكة مصر وابنة آمون تعاني آلام الجوع في ذاك البرج مع مربيتها الشريفة حتى تموت أو تتخذك زوجاً لها - أنت عمها الذي تنعم في جمالها وعرشها . ان لدي الآن رسالة من الآلهة التي تدون هذه الامور في سجلاتها الابدية لتتلى في يوم الدينونة عند ما نجتمع معاً وندلي اليها بشكوانا واوزوريس المخلص واقفاً على اليمين « وآكل الارواح » على اليسار وهذه هي الرسالة يا أبي — :

اذهب الى هيكل « سخت » وقت الفجر حيث تجد تلك الملكة الحسناء التي تريدها فخذها زوجة لك كما تريد لانها لا تقول لك كلا . تزوج بتلك الحسناء حالا امام أعين الشعب واحكم بحق هذا الزواج حتى تلتقي الشاب رامس بن مرمس - الذي قتلته أيضاً - ومعه شحاذ معين لديه رسالة أخرى لك . اصعد في نهر النيل الى ضيبة وادفن رفاتي في القبر الفاخر الذي اعددته واجلس مكاني و فعل ما تأمرك به الملكة الحسناء التي تتزوج بها وعليك ان تطيعها أمرها (اهاء بي أمرها امجاد) اسرع . اسرع يا أبي لتحفر لنا قبراً بجوار قبري لان روحي هذا سيزورك

بعد موتك كما زارك هذه الليلة» . . . وبعد ذلك أمسك روح فرعون عن الكلام ومكث هنيهة ينظر الىّ بعينيه الباردتين الى أن دخلت أرواح أولادي الاربعة الذين ماتوا - الغرفة ورفعت روح فرعون وحملته الى الخارج . ثم استيقظت وانا أنتفض كما تنتفض الريشة في مهب الريح وقد أتيت مسرعاً الى هنا بعد ان صعدت الف سلم لاحدثك تتنازع مع هـذه الجارية الوضيعة . حذاء فرعون العتيق الذى خلعته من قدمي منذ زمان

همت مرتيرا بالجواب ولكن الرجلين نظرا اليها شذراً فذهب غضبها ولزمت الصمت

عاد آبي الى الكلام فقال :

- فسر لى هذا الحلم أيها الرجل وعجل لان آلامه توجزني واذا لم تستطع جردتك من ونائقك وألهبت جسمك بالسياط حتى تثوب الى رشدك . انك أنت الذى سرت بي في هـذه الطريق فحافظ علىّ والاّ قطعت جسمك اربا

- ادرك كاكو الخطر المحدق به فالتجأ الى ضروب المكر والخداع وقال :

- نعم أيها الامير انا الذى سرت بك في هذه الطريق . طريق العظمة وانا الذى حافظت عليك من البداية . ولولاى لكنت خائناً منسياً . تذكر تلك الليلة التى جرت فيها ثورتك فأردت أن تقضي على فرعون فأرجعتك عن غيك . تذكر كيف كانت

حكمتي رائدك في كثير من الامور التي لو تركت فيها وشأنك لاصابك الفشل او الدمار . لا ريب أيها الأمير في أن نجاحك أو سقوطك سيتوقفان في المستقبل على اصغائك كما كان الامر في الماضي . والآن اذ كنت ترى غير ذلك فابحث لك عن رجل حكيم غيري تسترشد بآرائه وانتظر النهاية . اعلم يا أبي ان سياط مصر كلها لا تستطيع ان تلهب جسمي . والآن هل تريد أن اتكلم او تبحث لك عن حكيم آخر ؟

فقال أبي :

- تكلم فانت صيد في شرك واحد يصيبني مايصيبك ويصيبك مايصيبني . لاتخف سأعطيك ماوعدتك به

فقال كاكو بوجه عبوس :

- قد وعدتني بان تلهب جسمي بالسياط ولكن لندع ذلك الآن ولنتكلم على الرؤيا التي رأيتها فاعلم انى رأيت معناها حسناً . كيف جاءك فرعون ؟ انه لم يظهر لك في شكل روح حي بل في شكل رجل ميت . ومن يهتم بالاموات ؟

فقالت مرتيرا وكانت تغسل جراحها :

- انني أخافها فقد جرحت فمي وكسرت اسناني

فقال أبي مغضباً :

- ليتها قطعت لسانك . استمر في حديثك ياكاكو ولا تعبأ بقول هذه المرأة

فاستطرد الساحر قائلا :

- ماذا كانت رسالته ؟ انها تأمرك بزواج ملكة مصر والحكم على البلاد بما لها من الحقوق والجلوس فى مجلس الملوك . أليست هذه هى أمانى ذلك التى تسعى للوصول اليها منذ اعوام ؟

- نعم ياكاكو ولكنك نسيت ماقاله عن رامس والقبر الذي لابد أن أحفره وغير ذلك

- تقول رامس ؟ ان مرتيرا تستطيع أن تحدثك عنه أيها الامير . انه هو الفتى الطائش الذى قتل الامير « أماتيل » وأرسلته كوكب الصباح الى الاراضى الجنوبية لكي يقتله البرابرة هنالك واذا أتى مع الشحاذ الذى يحمل اليك الرسالة - وهو أمر بعيد الوقوع - جازيته بما يستحق

- نعم ياكاكو ولكن كيف تجازيه الملكة ؟ ان هنالك اشاعات . . .

فقاطعه الساحر قائلا :

- كلها أكاذيب أيها الامير . كانت الملكة تود قتله فى الحال لولا تقود أبيه مرمس وأمه آستى . ان رامس هذا من سلالة الملوك فلاتريد كوكب أن يشاطرها كوكب آخر ينافسها ما لم يكن زوجها الشرعى وهو أنت . واذا جاءك رامس أو الشحاذ برسالة فانها ستتضمن المناداة بك ملكا على مصر وبلاد الحبشة

وبعد ذلك نستطيع قتله والاستيلاء على الارث

فقال آني بشيء من الابتهاج :

ـ ربما . ومع ذلك لا أخشى تلك المخاطرة . ولكن ماقولك في ما ذكره فرعون عن القبور ؟

ـ لما كان فرعون قد صار من عداد الاموات فان روحه لاتفكر بشيء غير القبور ودفنه باحتفال رهيب وهو مايجب أن نفعله اذا أردنا أن نسلك سبيل الحكمة والكياسة . وفيما عدا ذلك ليس هناك مانخشى فانـا لابد نأتي جميعاً الى تلك القبور خصوصاً الذين شاهدوا منا فيضان النيل ستين مرة أو اكثر مثلي . وسنعالج الشؤون الخاصة بالقبور اذا ما أتينا اليها . أما الآن فعلينا أن نقنع بالحياة وما تقدمه لنا من الثمار الطيبة كالعروش وحب أجمل فتاة على الارض وغير ذلك . احصد قمحك أيها الامير اذا ما طاب ولاتهتم بمحصول العام القادم . ان ابنة فرعون أو ابنة آمون هي شغلك الشاغل وليست روح فرعون

فقال آني :

ـ نعم أيها العالم النحرير هي شغلي الشاغل ولكن بقي سؤال واحد وهو لماذا تكلم الروح عنها بأنها جماد ـ كما لو كانت ليست امرأة من البشر ؟

فتردد كاكو لحظة لان النقطة كانت دقيقة ثم قال ببسالة

ـ لان هذه الملكة كما أعتقد أيها الامير هي اكثر من امرأة

فانها ابنة آموز نفسه وقد دعيت لذلك بالملكة الحسناء

ثم استطرد كاكو بحماسة لم تكن فى نفسه وقال :

ـ آه . ما أجمل نصيبك يا ملك العالم وما أسعد الطريق التي فتحتها لقدميك الظافرتين . انني أنا الذى أريتك كيف توقع فرعون فى ممفيس وهو غرسهن الانصياع وأنا أو بالحرى مرتيرا هي التى خلصتك منه . والآن انا الذي تهددنى بالضرب بالسياط . لقد فسرت لك هذه الرؤيا السعيدة التي زعمت انها مملوءة بالمخاوف ففكر فى نهايتها أيها الامير وأزل عنك التكوك . . . من حمل روح فرعون من الغرفة ؟ ان أرواح أولادك الاربعة هى التى حملتها . أليس هذا دليلا على أن الفوز سيكون لبيتك

فتأوه آبى وكان يحب أولاده ثم قال :

ـ لانصيب لهم فى العرش على الاقل يا كاكو لانهم ماتوا

ـ ماهذا الكلام أيها الامير . ان أولادك ماتوا ميتة الابطال وقد حزنا على فقدهم . لقد خدمك السعد فى هذه المسألة أيضاً لانهم لو عاشوا لخاصموا لك المشاكل ولوقع النزاع بينهم وبين الاولاد الذين ستلدهم لك ماكن دمص

فلوح آبى بيده وقال بحزن :

ـ قد يكون ذلك ولكن اماكن لم تصر بعد زوجتى ، هى تعانى آلام الجوع فى ذلك البرج ولا ادرى ماذا أنا فاعل لو حاولت الدخول عليها عنوة فتاة نفسها كما أنست واذ تركتها

- البرج ؛ ألم يكف ماصعدت الليلة من الدرجات ؟ هيا بنا

سار الجميع الى السلم الضيق فصعد كاكو بحققة في حين أخذ الضباط يدفعون آبي الضخم وراءه حتى وصلوا الى الدور الثالث فأمرهم آبي بالوقوف وقال بصوت خافت :

- لاتسرعوا . ان جلالتها تقطن فى الدور التالى من هذا البرج الممقوت . ولما كانت آسى معها فانها لاتضطرب .احذروا أن تخيفوها بظهوركم فجأة مخافة أن تهرع الى قمة البرج وتلقى بنفسها فى النيل كما أقسمت لى بذلك . انتظروا قليلا وسأناديها اذا ماسكن اضطرابى ...

وبعد هنيهة نادها قائلا :

- لاتقتلى نفسك جوعاً أيتها الملكة فى هذا المكان الموحش وتعالى عيشى فى هناء ورغد مع خادمك الامين

نادى آبى مرتين وثلاثاً وأربعاً دون أن يجيبه أحد فدب الخوف اذ ذاك فى قلبه وقال :

- لابد أن تكون قد ماتت وستطلب مصر دمها مني . اصعد ياكاكو وانظر ماذا جرى فانك ساحر لاتخشى شيئاً

فتردد كاكو الى أن ثار غضب آبي ورفع عصاه ليضربه فصعد الساحر وكان يقف عند كل درجة ليصلى ويتوسل الى أن وصل الى غرفة الملكة فجثا على ركبتيه وأطل برأسه فلم ير شيئاً ووجد الغرفة خالية فزحف الى الغرفه المقابلة وهي غرفة آسي فوجدها

خالية كذلك . واشتد خوفه من الامير آبي فاستجمع قواه وصعد الى قمة البرج ولما لم يجدها عاد وأبلغ الامر الى آبي فصاح هذا قائلا:

- انها وحق المعبود « بتاح » اما أن تكون قد هربت لتصب جام غضبها عليّ أو القت بنفسها فى النيل لتنتقم الآلهة مني وهو أمرّ وأدهى . هل هذا تفسيرك للاحلام أيها الخادع الماكر ؟

فقال كاكو :

- انتظر حتى نتحقق من الامر أيها الامير . هيا نبحث فى الهيكل فقد تكون في مكان آخر

فأخذوا يبحثون في الهيكل غرفة غرفة الي أن وصلوا فى بحثهم الى القاعة الداخلية أمام المذبح حيث كان فرعون قد وضع عرشه أثناء وجوده بمدينة ممفيس . وكانت هذه القاعة مظلمة لايتسرب اليها النور الاّ من فتحات صغيرة فى السقف فكانت وقت شروق الشمس لاتزال مظلمة بحيث كان الباحثون يتخبطون من عمود الى عمود في الظلام . على انه لم تمض غير مدة وجيزة حتى انبعث شعاع من أشعة الشمس المشرقة من كوة في الحائط الشرقى فأضاء مقصورة المعبود « سخت » فظهر العرش الموضوع أمامه وقد جلست عليه كوكب الصباح ملكة مصر تحفها المهابة والجلال . وكان الثوب الملكي الذي ترتديه يتلألأ فى الشمس وكذا صولجانها وحليها وتاجها المزدوج . على أن عينيها الساحرتين كانتا تتقدان بحالة مروعة بحيث دبّ الخوف

الى قلوب الذين رأوها أولا وقالوا انها الهـة وليست امرأة من البشر . ولا عجب فقد كانت جالـة بسكون وجلال وجمال كالهة فازت على الموت لا كفتاة عانت آلام الجوع مدة سبعة أيام داخل برج من الابراج

انتفض الذين رأوها ورجعوا الى الوراء واختلط الحابل بالنابل وهرعوا كقطيع من الغنم وأخذوا يتهامسون الى أن وقع ضوء الشمس عليهم كذلك . أما الملكة فظلت جالسة على عرشها تنظر اليهم كما لو كانت غارقة في فكر عميق

وفي النهاية استجمع كاكو الساحر قواه وقال مخاطباً آبي :

ـ هاهي عروسك التي لم يحظ بغناها رجل . اذهب اليها وخذها فردد الجمع صدى قوله وصاحوا قائلين :

ـ اذهب اليها أيها الامير وخذها

فلم يجد آبي مناصاً من التقدم وهو ينظر الى الوراء الى أن وصل الى سلم العرش فوقف وهو مطأطيء الرأس

وقف الامير على هذه الحال مدة طويلة الى أن أعياه الملل اذ لم يعرف ماذا يقول وفي النهاية سمع صوتاً عذباً رقيقاً يخاطبه من فوق العرش قائلا :

ـ ماذا تفعل هنا ياسيد ممفيس ؟ لماذا خرجت من السجن الذي وضعك فيه فرعون ؟ آه . لقد تذكرت . ان مرتيرا جاسوستك قد أخرجتك . أليس كذلك ؟ لماذا لا أراها هنا مع

كاكو الساحر الذى صوّر التمثال المسحور الذي جرّ فرعون الى الهلاك ؟ لم تأت تلك الخائنة الى هنا لانها تداوي شفتيها اللتين جرحتا أمس قبل أن تذهب الى كاكو ليفسر لك حلماً رأيته ؟

فقال آبى :

ـ من أين علمت هذه الاشياء؟ هل لديك جواسيس في قصرى أيتها الملكة ؟

ـ نعم يا عماه لديّ جواسيس فى قصرك وفى كل مكان . ان مايراه آمور تعرفه ابنته . لقد جئت الآن لتتخذنى زوجة لك أليس كذلك ؟ حسن . انى فى انتظارك . انى متأهبة . افعل ذلك اذا استطعت !

فقال آبي بلهجة المرتاب :

ـ اذا استطعت ؟ ولماذا لا أستطيع أيتها الملكة ؟

ـ عليك أن تجيب على هذا السؤال يا أمير ممفيس . ومع ذلك قل لى لماذا انفجرت الكرة السحرية من تلقاء نفسها فى غرفة كاكو ليلة أمس ولماذا تزعم أن كاكو فسر لك كل ما تضمنه حلمك وهو الساحر الذى لا يقول الصدق الا اذا هدد بالجلد ؟

فقال آبى وهو ينظر الى كاكو بغضب :

ـ لا أعلم أيتها الملكة : ولكني أستطيع أن أتكلم مع كاكو فيما بعد اذا كانت هناك حاجة

ـ كلا أيها الامير . انك لا تعرف شيئاً سوى أن العصى

تقصم ظهور الافاعى ان لم تجـد ثقباً تتوارى فيه ـ ثم أشارت الى الساحر ـ اعلم أيها الامير انه لا يوجد أحـد يعرف شيئاً سواى انا التى وهبنى آمون الحكمة ومعرفة المستقبل . وما أعرفه أحفظه ولولا ذلك يا آبي لاخبرتك بأمور تشيب لها رأسك وكذا كاكو ومرتيرا الجاسوسة . ولكن ليس هذا من الامور المشروعة التى يحسن سماعها في هذه الساعة ، ساعة العرس والافراح

وكان كاكو واقفا فى زاوية مظلمة من المكان يلقى التعويذات ويتوسل الى الآلهة تحميه . فحين كان آبى وبطانته ينظرون الى هذه الملكة الغريبة كأطفال كانوا يبحثون عن أوكار بعض الطيور الصغيرة في الغابات نعثروا بأسد وأرادوا الهرب . وفي الواقع حوّل الامير آبى وجهـه نحو البـاب مرتين والى النور الساطع فى الخارج اذ خيل اليه أنه أخـذ يسير في طريق مظلمة ملأى بالنكوك . أخيراً قال :

ـ ان كلماتك أيتها الملكة تقطع كسيف ذى حدين وأظن انها تترك سما فى الجرح . أخبريني الآن اذا كنت من البشر كيف أن جسمك لايزال نضراً وجمالك لايزال فتاناً بعـد سبعة أيام عانيت في خلالها ماعانيت من آلام الجوع ! واخبريني أيضاً عن جاء لك بهذه الملابس البديعة التى ترتدينها فى هذا الهيكل المقفر وأين آستي مربيتك ؟

فقالت الملكة بصوت عذب رقيق :

- أطعمتنى الآلهة وجاءتنى بهذه الملابس والحلى لكي أكون جديرة بك أيها الامير . أما آستى فقد أرسلتها الى جزيرة قبرص لتأتى لى برائحة زكية لا تستخرج الا هناك . كلا . لقد نسيت . انها كانت أمس فى قبرص وقد جاءتنى بالرائحة التى دهنت بها شعرى وهى اليوم في طيبة لقضاء مهمة لى . وليست هذه المهمة سراً أكتمه عنك . فاعلم انها ذهبت لتنقش تاريخ قتل فرعون على جدران الغرفة الاولى من قبره

فخارت عزيمة آبى ومن معه عند سماع هذه الكلمات السحرية التى تدل على الشؤم وبدأوا يتقهقرون نحو الباب وآبي معهم

فصاحت الملكة بصوت الحزن الذى لا يخلو من الخداع والمكر قائلة :

- ماذا ! هل تدعونني هنا وحيدة ؟ هل أخافتكم قوتى وحكمتى ؟ وا أسفاه : انني لا أستطيع التغلب على ما بنفسى من الحكمة فانها كالاناء الذى يفيض اذا ما امتلأ أو كالمرآة التى تلمع اذا ما انعكس عليها الضوء . ألست أهلا للعيش فى قصور الملوك الذين ستكون من عدادهم يا آبى ؟ ان أوزيريس يحبك . انظر سأرقص لك وأغني كما غنيت فيما مضى للامير أماتيل قبل أن ينزع سيف رامس روحه من بين جنبيه لكي تحكم علىّ يا آبى يا من رأيت كثيراً من الحسان

وبينما كانت تتكلم ببطء نزلت من عرشها كذلك ببطء دون أن يشعر بها أحد ثم وقفت أمامهم وأخذت تحرك جسمها وقدميها وتغني

لم يتذكر أحد كلمة واحدة من غنائها ولكنها فتحت في كل تاب من قلوب الحاضرين باباً فتذكر أيام الشباب ورأى كل منهم أمنية حياته ترقص أمامه فطار قلبه فرحاً وسحر فؤاده

فرغت الملكة من رقصها وتلاشى صدى صوتها الرخيم في هيكل المعبودة « سخت » التي كانت تماثيلها تراقبهم وتبتسم لهم ابتسامة الانتقام المرة

وقفت الراقصة الحسناء أمامهم وضحكت ضحكة رقيقة ثم قالت

ــ الآن اذهب أيها الامير المقدس واذهبوا أنتم كذلك أيها الرجال . اذهبوا جميعكم ودعوني في عزلتي، الى أن يرسل فرعون في طلبي لاشاطره حكمه الجديد الذي ورثه فيما وراء الغرب

على أنهم لم يذهبوا ولم يستطيعوا التحرك لو أرادوه لان قوة مجهولة ربطتهم بها . أما آبي فانه لم يحول عينيه عنها ثم مرغ خده على قدميها وأخذ يبث اليها لواعج غرامه دون أن يكترث بانتقادات رفاقه الذين أخذوا ينظرون اليه وقد دبت عوامل الغيرة في قلوبهم . وكانت الملكة تصغي الى أنينه وشكواه وهي تبتسم دائماً ابتسامة كانت غاية في اللطف ولكنها مع ذلك كانت خالية من معنى الحياة

ولما فرغ آبي من توسلاته وقد أنهكه التعب قالت :

ـ هل تغلبت عوامل الحب الآن على خوفك كما أحب الامير أماتيل كوكب آمون بعد ما ضنت له ؟ لتكن أسعد منه حظاً أيها الامير المبجل . سيقام في ممفيس عرس ملكي عظيم لم تشهد له مصر مثيلا وستجلس الى جانب ملكة مصر وتضيء في نورها . ألم تنل هذا المكان بحق الدم ؟ ألم يعدك فرعون به في منامك ؟ تذكر ان شمس هذا اليوم الجديد قد أشرقت فلنتمتع بنورها ونودع هذا السجن المظلم

ـــــــــ

الفصل الثاني عشر

زواج « الملكة »

ذاعت اشاعة غريبة فى مدينة ممفيس. فقيل ان الملكة خضعت وانها ستتزوج بالامير آبى وأنها فى القاعة البيضاء تنتظر عرسها وتحدث الرجال بالنبأ فى الشوارع فأقسموا انه غير صحيح قائلين كيف تتزوج ملكة مصر المدهونة بالزيت بقاتل أبيها ؟ ألم يكن يجدر بها أن تموت فى سجنها في البرج حيث شاهدها الناس ليلة بعد أخرى وهي واقفة على سطحه تغنى ؟

وكانوا يعتقدون في قلوبهم انه ينبغي أن تموت الملكة النقية ابنة آمون التى أوقعها القدر فى شرك من الشر . اعتقدوا هذا الاعتقاد قائلين انها ستخلف بذلك وراءها قصة تفخر بها مصر الى الابد . بيد أن النساء سخرن من قولهم قائلات انها من النساء فلا يحتمل أن تترك الملك ومظاهر العظمة والجاه لتلقى فى ظلمة قبر منسى وعلى ذلك لا بد أن يكون النبأ صحيحاً . ثم قلن انها ستجلس في مكان ثانوى لان آبى سيكون زوجاً قوي النفوذ عليها وانها تفضل أى مكان على الموت وان آلام الجوع

قد وخزتها في الهيكل القديم نهذبت من أخلاقها فلا بد أن تذعن لارادة عمها الذى سيكون فرعون مصر

اشتد الجدال والنزاع . وكان الجميع حتى الذين يضمرون الحقد للملكة يجلونها فى نفوسهم ويضعونها موضع الاكبار والاعزاز . وقدساءهم أن يعلموا انها وهى الملكة المقدسة تطاطئ الهم لنير القدر وتبيع نفسها طلبا للنجاة وطمعاً فى مقعد على سلم عرشها . بينا كان النسوة يسخرون من أقوال رجالهن ويقلن انها ليست أحسن من غيرها من بنات جنسها

على أنه لم يطل حبل الجدل فقد ظهر المنادون وأخذوا يصيحون فى جميع أنحاء المدينة قائلين ان حفلة الزواج ستعقد فى القاعة الكبرى البيضاء قبل غروب الشمس بساعة . فضحك النسوة ابتهاجاً بفوزهن وسكت الرجال

حانت الساعة المعينة فغصت القاعة بمن استطاع الدخول من الشعب وازدحمت الالوف العديدة من الناس فى الرحبة الخارجية وفى جميع الطرق التي تؤدى اليها

وضع عرشان فى صدر القاعة أعد أكبرهما وأفخرهما للامير آبى والاصغر للملكة كوكب الصباح . وقد وضع آبى هذا النظام لان كاكو الماكر أشار عليه بأن يظهر للشعب من أول مرة انه هو الحاكم وليست ابنة فرعون

وفى الساعة المعينة دقت الطبول من فوق جميع الهياكل

ثلاثاً ثم تلاشى صداها في جو ساكن حار فكان ذلك اعلاناً على أن آبي قد وضع يده في يد الملكة كوكب الصباح في هيكل هاتور بحضور كهنة جميع الآلهة

ذاعت اشاعة أخرى بين الجماهير كانت كدائرة أحدثها سقوط حجر في الماء فكانت تزداد اتساعاً كلما تناقلتها الالسن . فقيل ان عجائب حدثت في هيكل هاتور ذلك أن الكاهن الاكبر ناول العروس زهرة — زهرة هاتور — فتفتحت في يدها . وقيل أيضاً ان ساق هذه الزهرة تحول الى صولجان من الذهب وتحولت الزهرة نفسها الى حجر من الياقوت الجميل

ولم يقتصر القول عند هذا الحد بل قيل ان آبي عند ما قدم الحمامة البيضاء الى « هاتور » في معبدها حسب العادة المتبعة انقض عليها صقر وقتلها وهي في يده ثم طار بعد أن ألقاها ميتة على ركبتي الآلهة . وقد تساءل الناس فيما بينهم قائلين أي طائر يجرأ على مثل هذا العمل ان لم يكن مرسلاً من « هورس » بن « آمون — رع » ؟

على أنه لم تلبث أن نسيت كل هذه الاشياء اذ علم الناس أن العروسين على وشك القدوم الى « القاعة البيضاء » ليظهرا أمام الشعب وليقدم الاشراف والعظماء والقواد لهما فروض التبريك والاحترام . وقد ظهر أولاً الكهنة في الطريق المؤدية الى هيكل هاتور وهم يرتدون ثياب الكهنوت ويرتلون أثناء سيرهم يتبعهم

رؤساء «التشريفات» والسقاة والحجاب ثم الامير آبى نفسه يحيط به ضباطه وحرسه ويرافقه كاكو وزيره

ولم تكن مظاهر الأبهة والعظمة ولباسه الفاخر الذى لاحظ كسيرون انه ملطخ بالدم — نذير الشؤم — ولا التاج الملكي الذى وضع على رأسه الضخم المستدير لاول مرة — لم يكن كل ذلك ليخفى علامات القلق التي كانت بادية على وجهه . فقد كان صولجان الملك الذى يحمله في يده يضطرب وهو يحيي الشعب باحناء رأسه وشفتاه قد امتقعتا . ومع ذلك بقي يبتسم للشعب ويحييهم الى أن سكنت الجموع وخيمت السكينة على المكان

نسى الشعب آبى وأخذ ينتظر قدوم الملكة . ومع إنه لم يتقدمها أحد ينبئ بقرب مجيئها فان كل قلب من قلوب هؤلاء الالوف شعر بأنها قريبة منه . وفي الواقع لم يلبثوا أن رأوها واقفة وحدها فوق حافة المنصة أمام العرشين وهى ترتدى ثوباً بسيطاً أبيض ناصعاً قد كشف عن صدرها وأبان رمز الحياة الذى طبع تحت عنقها منذ يوم ولادتها . ولم تلبس الملكة شيئاً من الحلى غير تاج مصر المزدوج وكانت تحمل فى يدها صولجاناً من الذهب في طرفه حجر من الياقوت على شكل زهرة وهو الصولجان الذى قيل ان أصله زهرة تحول ساقها بقوة السحر الى صولجان

بدت المملكة في شكل لم يكن يتوقعه أحد . فقد زعموا أنهم سيرون فتاة شاحبة اللون لا يزال الحزن يملأ عينيها وآثار الدموع على خديها ، فتاة قد فتك بها الجوع والخوف من الموت ونكد الطالع فاشترت نفسها بزوج الذى غلبها . ولكنهم لم يروا شيئاً من ذلك . فان كوكب آمون لم يسطع بمثل هذا البهاء من قبل ولم يروا مثل تلك العظمة والجلال في عينيها الزرقاوين وهما تنفذان اليهم كأنهما تريدان معرفة السر الدفين فى قلب كل واحد منهم . وكان قوامها لا يزال فتاناً ووجنتاها متوردتين ووجهها تملؤه حياة وقوة وجلالا

لم ينطق أحد ببنت شفة وأخذوا ينظرون اليها . فتبسمت ابتسامة رقيقة رحبتهم بعينيها الهادئتين الى أن طأطأوا رؤوسهم حياء وفي النهاية سارت وسط هـذا السكون الرهيب الذي لم يجرؤ أحـد على تعكيره فسمعوا حفيف ثوبها الحريري وأذيالها تتجرجر على رفوف القاعة المصنوعة من المرمر

حاول اثنان من رجال التشريفات أن يتقدماها الى عرشها ولكنها أمرتهما بالرجوع وقالت بصوت جهورى

ـ كلا . لا يقود أحد من شعب مصر الكبير ابنة آمون وملكة مصر في مكانها الخاص بها . فدهشوا لجلوسها على عرشها بقوتها الآن وفي بعد

وعمت وسط هذا السكون لتتم الدرس الاكبر الذي أخذ

للامير آبي وجلست عليه وانتظرت

سمع اذ ذاك تذمر بين رجال آبي وهمس كا كو فى أذن الامير فى حين لزم الشعب السكون والصمت

ضرب الامير آبي الارض بقدميه ثم أصدر أوامر لم يجر أحد على تنفيذها فتقدم هو الى الامام وخاطب الملكة بصوت خشن قائلا :

ـ انك تجهلين ذلك أيتها السيدة بلا ريب . ولكن اعلمى أن هذا المكان مكانى . أما مكانك فهو عن يسارى فاجلسي عليه

فقالت بهدوء :

ـ ولم ذلك أيها الامير آبى ؟

ـ لأن الزوج مفضل على الزوجة . . . والغالب على المغلوب

فكررت قوله قائلة :

ـ والغالب على المغلوب ؟ ألم يكن يجدر بك أن تقول ـــ والقاتل على القتيل وابنته ؟ كلا . أيها الامير آبي انك مخطئ . ان ملكة مصر بحق القداسة تفضل على خادمها حتى ولو شاءت ارادة الآلهة التى جئت لتنفيذ ارادتها أن تأمرنى بأن أدعوك زوجاً حتى تعرف هذه الارادة جيداً . تعال قدم الى ملكتك فروض التجلة والاحترام ومن ورائك هؤلاء الذين تجرأوا على أن يشهروا السيف في وجهها

فحدثت ضوضاء عظيمة تنطوى على الغيظ والهلع معاً . وكان

معظم الحاضرين فى داك المكان الواسع من الذين كانت لهم يد فى هذه الجريمة فصاحوا فى الامير آبى أن لا يعبأ بقولها وأن ينزعها عن العرش ويقتلها ويستولى على التاج . ثم سلوا سيوفهم وطغوا كالبحر الزاخر . أما الموالون منهم لبيت فرعون والذين خافوا الفتنة فقد أخذوا ينسحبون من القاعة مثنى وثلاث حتى لم يبق صديق واحد للملكة فى ذاك المكان الرحيب . وكان كلما خرج فريق منهم حل محلهم غيرهم من المتاغبين والثوار الذين كانت لهم يد فى قتل حرس فرعون وكانوا من قبائل البدو الذين يعيشون فى الصحراء . ومن سلالة الرعاة الذين حكم أجدادهم مصر اثنى عشر جيلا ثم طردوا منها وهم الرعاة الذين يجري دمهم في عروق آبى وكانوا ينظرون اليه كزعيمهم الذى سيعلى شأنهم مرة أخرى . ومن الاشرار الذين التجأوا الى جنوده ومن الساميين والزنوج والبرابرة .

غصت القاعة بمثل هؤلاء الوحوش الذين وضعوا كل آمالهم فى آبى وعللوا النفس باسلاب مصر . بيد انهم رأوا على عرش آبى فتاة حالت بينهم وبين أغراضهم وتجرأت على أن تطلب الى زوجها أن يقدم اليها فروض الاحترام وعلموا أنها اذا ما أتيح لها الغلبة أمرت بضرب رقابهم أجمعين

صاحوا بلسان واحد قائلين :

— دامروها اربا انقضوا على ابنة الحرام التى وضعها فرعون

حاكمة على البلاد ! انها ساحرة تتغذى بالهواء والارواح الشريرة . انقضوا عليها والآن دعونا نفتك بها نحن

صرخوا الى أن بحت أصواتهم ثم لزموا الصمت

وكان أبي فى خلال تلك المدة واقفاً يتردد تارة ويميل بأذنه الى كاكو وهو يهمس فى أذنه تارة أخرى الى أن استجمع قواه فى النهاية فنظر الى الملكه وقال :

ـ انك تسمعين وتنظرين . ان شعبي لا يثق بك وهم قوم غلاظ لا أستطيع كبح جماحهم طويلا فاذا وصلوا اليك قطعوك اربا ومزقوا جسمك هذا الجميل كما مزق « ست » جسم اوزوريس

وكانت الملكة الى تلك اللحظة جالسة على عرشها ساكنة كأنها لا تهتم بشيء . فنظرت اليه وقالت :

ـ انك لاتدري كيف تضرب الامثال أيها الامير . ان اوزيريس قام ثانية . أليس كذلك ؟

ثم اضطجعت الى الوراء ولزمت الصمت ثانية

فقال أبي :

ـ هل لازلت تريدين أن أؤدي لك فروض الاحترام أيتها الملكة مع اني زوجك ؟

فأجابته باستخفاف :

ـ ولم لا ؟ لقد تكلمت . ان أمر فرعون لايتغير . ومع انني امرأة فانني . . . ملكة مصر

فثار غضب آبى وتحوّل نحو رجاله ليأمرهم بالقائها عن العرش على أنها كانت تراقبه فرفعت صولجانها فجأة وتكلمت بصوت جهورى رنّ فى جوانب القاعة ووصل الى مسامع الذين كانوا محتشدين على سلالم القاعة وفى الخارج قائلة ·

- بينى وبينكم أمر أيها الشعب وهو : هل ترضون بأن أحكم أنا ملكتكم على مصر كما حكم آبائى من قبل أو تريدون أن يحكم ذاك الرجل الذى اتخذته زوجاً لى بأمر آمون ؛ انكم تريدون أيها الشعب أن يحكم آبى عليكم لانه من سلالتكم ودمكم يجري في عروقه . تريدون أنتم الذين اغتنتم حياة أبى المعبود أن تجلس آبى على العرش وأن أكون له أمة ألد له أبناء من دمي الملكي النقي . انظروا انكم جم غفير وقد تركني رفاقي فصرت وحيدة كشاة بين الذئاب ، بين ألوف من الذئاب الكاسرة التى فتك بها الجوع . فكيف اذن أستطيع أن أتغلب عليكم ؛

فصاح رجل منهم قائلا :

- انك لاتستطيعين . انزلى ايتها الشاة واركعى أمام الاسد آبي والآ مزقنا لحمك نحن الذئاب . اننا لا نعترف بك نحن الذين يغلى دم الهكسوس (الرعاة) في عروقنا . لا نعترف بك مادامت المسلات التى أنشأها ملوك الرعاة العظام قائمة . انزلى وتخذى مكانك بين نساء سيدنا يا ابنة الحرام

فردت الملكة عليهم قائلة .

- آه . مادامت المسلات التي أنشدها ملوك الرعاة اللصوص قائمة لا تعترفون بي انا ابنة فرعون ، ابنة الحرام

ثم أمسكت عن الكلام . والظاهر أنها اضطربت فتنهدت ودقت يداً بيد ثم قالت بصوت مضطرب :

- انني امرأة بينكم وقد مات أبي فرعون والآن تأمرونني أن أتخلى عن منصبي وأن أحكم من الآن فصاعداً بواسطة الرجل الذي أوقع فرعون في الشرك وقضى عليه . . . ترى ماذا أفعل ؟

فقال أحدهم باستهزاء :

- كوني امرأة وفية وأطيعي زوجك يا ابنة الحرام

فنظرت الملكة الى المتكلم — وهو ضابط من ضباط آبي الذين اشتركوا في مقاتلة حرس فرعون — نظرة غريبة فلاحظ الرجال الذين كانوا بجانبه في الحال ان شفتيه امتقعتا وأن عزيمته قد خارت بحيث كاد يغمى عليه لولا ضغط الذين حوله . على أنه لم يلبث أن استرد قواه وسأل الكهنة الذين كانوا على مقربة منه أن ينضم اليهم بحجة أنه لم يطق احتمال الحربين الجماهير فخفي أحدهم رأسه وأفسح له الطريق فانضم اليهم

تكلمت الملكة ثانية فقالت وهي لا تزال تنظر الى الضابط .

- لقد أهنتم بكلماتكم السيئة — ملكة مصر المدهونة نانريت التي توجت وقبلها المعبود نفسه في أقدس مكان من هيكله . ومع

ذلك فان هذه ساعتكم . يجب أن احتمل ما تقولون اذ ليس لى أصدقاء في ممفيس . آه : ترى ماذا أفعل ؟ - ثم دقت يديها ثانية - لقد افسدوا لى أيها الشعب ان آمون أبا الالهة قد بث في من روحه عند ولادي وأنسم بانه يساعدنى وقت شدتى وينقذني وقت ضيقتى فدعونى اذذأصلى الي آمون . انظروا - ثم اشارت الى الامام - ان قرص الشمس كاد يحتجب . فدعوني اصل الى آمون قبل أن تتوارى وراء ابواب الغرب فاذا لم تأتني المساعدة وضعت نفسى تحت امرتكم وقدمت فروض التجلة والاحترام الى هذا الامير الجليل الذى سخر من أخيه فرعون وقضى عليه بمساعدة ساحره كاكو وجاسوسته مرتيرا

وكان آبى لايخاف آمون بل خشى أن تحدث ضجة تتمل في خلالها زوجته الجديدة الجميلة أو تمس باذى فقال

- نعم أيها الشعب . أعطوها المهلة التي تطلبها فاذعن الشعب لامره فوقفت الملكة ورفعت ذراعيها وعينيها الى السماء وأخذت تصلى بصوت مرتفع قائلة

- اصغ الي يا آمون أبى في بيتك كما حلفت اذ تفعل . انك تعلم موقفي الحرج أيها المعبود . هل شاءت ارادتك أن تذل ابنتك ويحط من كرامتك أمام هذا الرجل الذي قتل ملكه وأخاه وأمرتنى أن اتخذه زوجا لى ؟ اذا كانت هذه ارادتك فانى سأطيع ولكن اذا لم تكن كذلك فاظهر كلمتك بقوة أو باعجوبة واجعله هو ورجاله الذين يسخرون من جلالتي ويقولون

ني ابنة حرام يخضعوا لي ويحنوا الهام أمامي . انهم ينكرونك، ويجحدونك في قلوبهم أيها المعبود ويعبدون آلهة اخرى كما كان يفعل اجـدادهم البرابرة الذين هدموا معابدك في مصر . بيد انى اعلم انك ارسلتنى . ففيك ثقتى وعليك اعتمادى الذي لا يتزعزع حتى لو قتلتني ان ذلك البهاء الذى تخفى فيه روحك أيها المعبود قد أخذ يحتجب فاعلن نفسك الان قبل أن تغرب الشمس ويسبل الليل ستاره على العالم واظهر مقدرتك حتى يعلم الجميع انني ابنتك حقاً والا اذا كانت هذه ارادتك فدعني ودع مصر واتركني لذلي وعاري

فرغت الملكة من صلاتها ثم ألقت بنفسها على العرش وأسندت رأسها بيدها وأخـذت تنظر الى بهاء الشمس وهي تحتجب وراء الافق . ولم تكن وحدها مشتغلة بالنظر الى الشمس بل شاركها في ذلك كل من كان معها في القاعة

وقف الجميع في نور الشمس الملتهبة وهم ينظرون . ولما كان المكان مفتوحاً نحو الغرب فقد سقط عليه ظل المسلتين اللتين كانتا في الخارج كظل حسامين التقت نهايتهما معاً تحت عرش الملكة . وكانوا لا يعتقدون بحدوث شيء وشاركهم في اعتقادهم هذا الكهنة الذين كانوا في منفيس مدينة المعبود بتاح لانهم كانوا لا يفكرون كثيراً بآمون اله مدينة طيبة وكانوا يزعمون أن هذه الصلاة الحارة انما هي آخر صيحة خرجت من قلب كئيب لفتاة متغطرسة سقطت في مهاوي الشقاء

ومع ذلك ظلوا ينظرون اليها لانها تكلمت بلهجة التأكيد كمن يثق بوجود ذلك الاله وهم يقولون في أنفسهم أليست تدعى بنت آمون ؟ ألم تذكر قصص غريبة عن ولادتها ؟ ألم تتحول الزهرة الى صولجان من ذهب وياقوت فى يد تلك الملكة المدهونة بالزيت التى طبع رمز الحياة على صدرها ؟

وكان هذا الوقت ، وقت غروب الشمس عجيباً . فقد كانت الحرارة بالغة أشدها منذ أيام ولكنها كانت فى هذه الآونة مروعة تبعث الرهبة فى القلوب .وقد سادت سكينة غريبة على الارض والسماء فلم يتحرك شيء فى المدينة ولم ينبح كلب ولم يبك غلام ولم تتحرك ورقة من ورق الاشجار فكانت كمدينة الاموات .

تولدت سحب كثيفة فى السماء وأخذت تتحرك ومع انه لم تكن هناك رياح . وكانت أشعة الشمس تمس هذه السحب فانعكس منها لون ذهبي وآخر أحمر وآخر أحمر قان فى حين كسيت أطرافها بلون أسود . وكانت هذه السحب تتخذ أشكالا غريبة فتجتمع كجيش يتهيأ للقتال فكان القواد يشاهدون وهم يروحون ويغدون بسرعة والمركبات وصفوف الجنود وهى تحمل رماحها . ثم بدت سحابة فوق السحب الأخرى شغلت قوس السماء.وكانت على شكل امرأة ذات شعر ذهبي مسترسل ارتكزت قدماها فوق قرص الشمس وشغل جسمها منحنى السماء

وامتدت يداها نحو الشرق وقبضتا على قرص القمر المشرق

دب الهلع فى قلوب الذين شاهدوا هـذه السحابة فصاح أحدهم قائلا :

ـ هذه « ازيس » وقد أمسكت القمر بيديها

وقال آخر

ـ انها « نوت » الآلهة التى تطل على العالم

وكانوا يتكلمون همساً ومع ذلك كانت الملكة تسمع أقوالهم وهى جالسة على عرشها وقد تغير وجهها لاول مرة اذ ارتسمت على شفتيها ابتسامة غريبة

أخذ كاكو يهمس في أذن آبى وكان الخوف يتجلى في عيني كل منهما . ثم أشار الساحر بأصبعه الى نجمين لمعا فجأة فى السماء ثم حول رأسه ونظر الى الملكة ثم مال نحو آبي وأخذ يتحدث معه . أخيراً قال آبى :

ـ ان « رع » (الشمس) قد غرب . تعالي نضع حداً لهذه الحماقة

فقالت الملكة بسكون :

ـ لم يغرب بعد . انتظر قليلا

ما كادت الملكة تفرغ من كلامها حتى شوهدت أشجار النخيل المزروعة بكثرة فى الحدائق الغناء الواقعة على شاطئ النيل وقد انحنت نحو الشرق كأنها تحيي الملكة وهى جالسة على عرشها . انحنت تلك الاشجار ثلاثاً ثم عادت كما كانت مع أنه لم تكن

هناك ريح تحركها . بعد ذلك تجمعت السحب وصارت كرداء أسود كسا السماء . وكان قرص الشمس يرى - وقد احتجب نصفه - من خلال فتحة في هـذا الرداء وهو يتقد كعين ملتهبة مروعة ثم أخذ يتوارى تدريجياً الى أن بقى منه خط رفيع من النيران واذ ذاك أخذت الظلمة تخيم على القاعة . أما الملكة فكانت تسمع وهى تنادى اسم « آمون »

صاح أحدهم قائلا :

- مات « رع » . انتهى يا ابنة السماء . مات « رع »

فقالت الملكة وهى تصيح صيحة الظفر

- ولكن آمون حي . انظروا الى سيفه أيها الخونة !

ماكادت هـذه الكلمات تخرج من فم الملكة حتي انشقت السماء الى شطرين بلمعان البرق وشاهد الناس فى وسطه أشجار النخيل وقد انحنت مرة أخرى وكادت أطرافها فى هـذه المرة تمس الارض . ثم هبت الرياح فجأة وأخذت الارض ترتفع تحت أرجلهم تلالا وفى المرة الثالثـة تعالى صراخ مزعج تلاه صوت سقوط الاحجار وسط الظلام

بدت السماء اذ ذاك كأنها شعلة من نار وظهرت فى هذا الضوء كوكب الصباح ابنة آمون وهى جالسة على عرشها تحمل صولجانها وتشير نحو السماء وتضحك ضحكة الفوز . ولا عجب فقد سقطت المسلتان اللتـان بناهما الرعاة خارج القاعة فوق البرج والابواب

فهدمتاها وعلى رؤوس الذين كانوا في الخارج فأماتت مئات منهم. وقد وجدت جثة مشوهة بين الذين ماتوا وهى جثة ذالك الضابط الذي سخر من الملكة وكاد يغمى عليه عند ما نظرت اليه

فر من بقى داخل القاعة واضطربت جموعهم ومسهم الخبل وأخذوا يناضلون بكل قواهم للفرار من انتقام آمون وابنته. وكان الكهنة فى داخل القاعة قد خروا سجداً وأخذ كل منهم يدعو الهه ليرحمه . وخر آبي على ركبتيه أمام العرش وأمسك بقدمي الملكة وصرخ طالباً العفو والغفران فى حين كانت « التى » جلست على العرش تضحك وهى تضيء كالنيران بين الخرائب والانقاض وأصوات الجلبة والصياح

لم تمض غير مدة وجيزة حتى فر الجميع عدا الكهنة الساجدين والموتى والذين يعالجون سكرات الموت وآبي وضباطه وبعد هنيهة انقشعت السحب وأضاء القمر القاعة بلون فضي جميل

نظرت الملكة الى آبي المسكين وهو يمرغ حديه على قدميها وقالت :

ــ أخبرنى الآن يا زوجى من هو اله المصريين ؟

فقال آبي وهو يلهث :

ــ هو آمون أبوك

ــ ومن فرعون مصر :

ــ أنت دون سواك أيتها الملكة

- آه . هذا هو الامر الذى قام بيننا عليه النزاع . أليس كذلك ؟ لقد ألجأني الى طلب مساعدة من ينصرني وقد زعمت أن لا ناصر لى ولا معين

ثم أشارت الى بقايا المستين العظيمتين وقالت :

- انظر . هناك أثر قدميهم . انهم يديرون الهويا . أليس كذلك يا عماه ؟

فنظر آبى خلفه الى نعته المهدمة والي الموتى والذين يموتون ثم كرر قوله وهو يتنفس :

- انت مرتون مصر ت ... مول . . هي خادمك الخادمة ودعيه ايابش فى فلك ورعينه

فقالت بدون تفهم :

- ليس فى استطاعتي أن أمد ... الامر الاول ولو أنه قد يرضى آمود أن يبقى عنده نائلا فى هذا المكان حيث يجب أن تسوى حسابات ... آبي ... وام رفقائه الذين ماتوا فى سوارع ... دلديك أعمال يجب تأديتها أما الامر الثاني — وهو ... الكاسة والعساط و ... الى هذا الامير ... وهو يؤدى و ... الاحترام لى ...

فقد ... صرخ يتقصون حوفاً ... . ثم أشارت ... شكر آتون ... رجل حذ ...

ثم تبعه الآخرون من الكهنة والضباط والسقاة الى أن جاء دور كاكو فى النهاية وهو ينتفض ولكنها أبت أن تمس هذا الشرير حذاءها فسحبت قدمها وقالت :

ـ أخبرنى أيها الساحر يامن تعرف أسرار الامور كيف بقيت على قيد الحياة وقد قتل كثيرون ممن هم أقل منك جرماً ؟ أخبرني يا من تلطخت يداك بدم فرعون

سمع الساحر الخبيث هذه الكلمات فخر على وجهه ساجداً وأخذ ينكر جريمته الفظيعة وفى الوقت نفسه يطلب الصفح عما قال أنه لم يقترفه

صاحت الملكة قائلة :

ـ كفى . اعلم أن حياتك ستطول زمناً ما . نعم وكذا حياة مرتيرا وستبقى في منصبك وزيراً

فأخذ كاكو يسكب عليها آيات الحمد والثناء ولكنها أوقفته عن الكلام قائلة :

ـ لا تشكرني لانك لا تعرف نهاية هذا الامر الذى أخفى عنك مخافة أن يعتريك الخبل أو يصيبك مس من الجنون أنت وزوجتك مرتيرا . انظر الى أيها الساحر وقل من أنا ؟

ثم مالت فوقه فنظر اليها وتلاقت أعينهما فلم يستطع أن يحول عنها نظره

عادت الملكة الى الكلام فقالت :

- تعال . اعلم أنني أعلم شيئاً من الاسرار الدفينة.فقد رأيت الارض وهي تعلو وتنخفض تحت أقدامكم كأمواج البحار والمسلتين وقد تهدمتا أمامكم بأمري . يجب أن لا تكون هناك أسرار بين رجال حرفة واحدة . وعليه سأقص عليك أمراً ربما عرفت منه شيئاً . ولما كنت واثقة من أنك ستلقيه على مسامع سيدك أو على مسامع مرتيرا فاعلم ان اللحظة التي تذكر فيها هذا الامر هي التي يقضى فيها عليك وهي بداية العذاب، الذى أمسكته عنك . الآن اصغ الى بحق « آكل الارواح » ياصانع التماثيل المصنوعة من الشمع

ثم مالت فوقه وأخذت تهمس في أذنه . ولم تمض لحظة حتى شوهد الساحر وقد امتقع وجهه وهو يترنح الى الوراء كالسكران وفى الواقع لو لم يمسكه آبى لسقط من فوق المنصة

وكانت الملكة تنظر الى الناحية الاخرى وقد نسبت ما أصابه على ما يظهر فأسر آبي فى أذن الساحر قائلا :

- ماذا قالت لك الملكة ؟

على ان كاكو لم ينطق بكلمة ونزع نفسه من الامير وفر هارباً من المكان

الفصل الثالث عشر

آبي يعرف حقيقة الملكة

انتهى شهر قمري على حفلة الزواج . وفى اليوم الاول من الشهر الجديد جلس كاكو في قاعة كبار الضباط فى ممفيس يراجع حسابات المدينة العمومية . ولم يكن عمله هذا سهلا لان الملكة — أو فرعون كما دعت نفسها — أبانت له كثيراً من الاغلاط ووردت اليه البيانات فاستدعى كاكو رؤساء جباة الاموال وأمرهم بدفع العجز الذي سرق هو معظمه وهددهم بالجلد ان لم يفعلوا

ذهب كاكو بعد أن هدأ روعه الى مكتبه الخاص فوجد نفسه مع آبى وجهاً لوجه . وكان الامير قد تغير شكله فأصيب جسمه الضخم بالهزال وبدت عليه علامات الشيخوخة والبؤس بحيث لم يتمكن كاكو من معرفته وهو جالس فى زاوية مظلمة فى الغرفة وظنه أحد الخدم فأخذ يسبه وأمر بطرده

فثار غضب آبى اذ ذاك وهجم على كاكو وأمسكه من لحيته ولطمه على وجهه وقال :

- أيها الكاذب . أهكذا تخاطب ملكك ؟ سأنتقم لنفسي منك على الاقل

فقال كاكو :

- العفو يا صاحب الجلالة لانني لم أعرفك في هذه الظلمة . لقد تغير شكلك كثيراً أيها الملك

فتركه آبي وقال :

- تغير شكلي : نعم كيف لا يتغير شكلي وقد عانيت ما عانيت من الآلام المبرحة منذ أصغيت الى نصيحتك وسعيت للجلوس على عرش فرعون ؟ لقد كنت قبل ذلك سعيداً ناعم البال متمتعاً بأولادي وزوجاتي ودخلي وجيوشي أما الآن فقد فقدت كل شيء . فأولادي ماتوا وزوجاتي طردن وأموالي أخذت مني وجيوشي التحقت بخدمة غيري

فقال كاكو :

- انك على الاقل فرعون مصر زوج أجمل امرأة في العالم وأعظمهن حكمة

فتأوه آبي وقال :

- فرعون . ان أوضع رجل في المدينة أعظم مني سلطة وجاهاً . أما باقي . . .

ثم سكت وتأوه ثانية

فقال كاكو :

- ماذا أصابك أيها الملك ؟
- انني سقطت تحت ساطلة كوكب نحس
- هل تعنى كوكب آمون ؟
- نعم كوكب آمون المزعج الجميل التي تسميها أنت زوجتى انها لا تعاملني معاملة الازواج . أصغ الى . ذهبت الى غرفتها الخاصة فوجدتها جالسة أمام مرآتها تغنى لا ترتدى غير ثوب أبيض رقيق وشعرها الاسود يكاد يمس الأرض فتبسمت وخاطبتني بألفاظ عذبة رقيقة وحذبتني نحوها بقوة عينيها الساحرتين . . . ثم وقد دعتني زوجها ثم تنهدت وخاضت فى حديث الحب والغرام الى أن دنوت منها أخيراً وطوقتها بذراعى
- وبعد ذلك . . .
- وبعد ذلك ذهبت ياكاكو فرأيت بدل وجهها رأس فرعون الميت بوجهه الشاحب المخيف وهو ينظر الى شذراً فرجعت الى الوراء خطرة ونظرت فوجدتها جالسة في مكانها ثانية تضحك وتدهن شعرها بالطيب وتسألني عما يؤلمني وعن سبب اصفرار وجهي قائلة هل هذه معاملة الازواج . لقد كان ذلك منذ شهر ولكن استمر [illegible] على ذلك الى الآن فكلما أعود الى زوجتي وأقترب منها أجد رأس فرعون وجهه الشاحب المخيف بدل وجهها الجميل وهي تهزأ بي وتسخر مني . [illegible] أستطيع الاقتراب لى زوجاتي الاخريات لانهم أبعدتهن عنى حتى اللائى

عاشرتني مدة طويلة قاتلة يجب أن تحكم هي وحدها

فقال كاكو :

- هل هذا كل ما عندك ؟

- كلا يا كاكو . انها فضلا عن تعذيبي تعذب كل رجل آخر يقترب منها . فهي توقعهم فى الشرك بابتساماتها وتسحرهم بعينيها حتى يجنوا بحبها ثم تسلمهم الى آمالهم وهي لاتزال تبتسم لهم . وقد انتحر اثنان من الذين كان لهم ضلع فى المؤامرة العظيمة وأصيب ثالث بالجنون فى حين صار الباقي أعدائي الالداء لانهم وقعوا في حب الملكة وظنوا أنني أقف بينهم وبينها

فقال كاكو مرة أخرى :

- هل هذا كل ما لديك :

- كلا . ليس هذا كل ما عندي يا كو . فقد انتزعت مني سلطتي وأصبحت عبداً رقيقاً بعد أن كنت بعد فرعون فى السلطة والجاه . . . آه يا كاكو . انني أشتغل من الصباح الى المساء فى أعمال أقتلنا . فقد فرض علي أن أشيد المعابد والهياكل لآمون وأحفر الترع وأخضع للعامة وأخفف آلامهم وأتجاوز عن شرائرهم . وفرض علي كذلك أن أحارب البدو الذين هم أصدقائي من قديم وان أدخل فى الحرب البالية حربا تحول عني ذلك الجيناس لذي عقدت معه معاهدة سرية وقد أرسلت اليه ابنته التي تزوجت مالا مذنب سوى انني أحبها

فقال كاكو :

- وبعد ذلك ؟

- وبعد ذلك تعود جلالتها بعد انهزام قبائل الخينات وخضوعها لمصر الى مدينة طيبة رسمياً « لتتولى تهيئة قبري » قائلة ان هذه مسألة لا تقبل التأخير. وفي الواقع رسمت شكل القبر رسماً مزعجاً مروعاً وقدمته الى لأراه. وقد رسمت أيها الصديق بجانب قبري قبراً آخر صغيراً لك وأرسلت صباح اليوم جماعة الى محاجر ... لشراء ... أحجار كبيرة لصنع توابيت ... والثاني لك ... وجنات مرتين قائلة انها تريد تكريمكما بهذه العطايا على حسب العادة القديمة

لم يستطع كاكو عند سماع هذه الكلمات أن يتمالك نفسه فأخذ يبسي ذهاباً وإياباً في أرجاء الغرفة وهو يهدد ويلتف شعر لحيته.

أخيراً قال :

- كيف تستطيع أن ... وأنت ... العظيم أن تصير رفيق امرأة ... تحت قدميها كالاقذار ... وترى بعينيك ... وتتأذى آلام العذاب ويسخر الناس منك ويهددك بالموت ... كيف تتحمل كل ذلك. لماذا لم تقتلها وتتخذ لنفسك ...

فقال آبي :

ـ لانني لا أجرأ . اعلم ياكاكو انه لو خطر على فكري مثل هذا الرأي عرفت أفكارى وقتلتنى . ألا تتذكر أيها الاحمق سقوط المسلتين فوق فوادي وما أصاب الضابط الذي سخر منها ودعاها بابنة السفاح ؟ كلا . كلا . انني لا أجرأ على رفع اصبع واحد فى وجهها

ـ اذن أيها الامير يجب أن تحمل نيرك الى أن يعدّ لك القبر

فقال آبى وهو ينتفض :

ـ كلا ياكاكو . ان لدىّ خطة أخرى جئت لاتحدّث معك بشأنها . اقتلها أيها الصديق كاكو . أصغ الىّ . انك متضلع فى فى فنون السحر فالعمل الذي أودى بحياة الاب يودي بحياة الابنة . اصنع تمثالا من الشمع وبث فيه من قوتك يتم كل شيء . وبعد ذلك . . . فكر فى مكافأتك

فقال الساحر باستهزاء :

ـ انني فى الواقع أفكر فى الجزاء أيها الامير النبيل . أتدري ماهو ؟ القتل بالعذاب المتقطع . وفوق ذلك اذا علمت الحقيقة قلت أنه يستحيل قتلها

فقال آبى بغضب :

ـ ماذا تعني أيها الاحمق ؟ ان اللحم والدم لابد أن يذعنا للموت

فارتسمت ابتسامة ميتة على وجه كاكو النحيف وقال :

- ان هذا مثل يليق بحكمتك أيها الامير . نعم ن اللحم والدم يدعنان للموت . . . نعم نعم اللحم والدم !

فثار غضب الامير وقال .

- لا تقطب وجهك هذا الدميم والا قطعت عنقك بحسامي

ثم سل سيفه وتهدده قائلا :

- قل ماذا تعني أو . . .

فخر الساحر على ركبتيه وصاح قائلا :

- سيدى . لا أستطيع . كلا . لا أقدر. أعف عنى . انه سر من أسرار الآلهة

فرفع آبى سيفه وقال :

- اذن . اذهب الى الآلهة أيها الجبان الكذوب وتكلم معها . ان الملكة لا تلومني اذا أرسلتك الى هناك

فجثا كاكو على ركبتيه وقال وهو يلهث :

- العفو . العفو !

فى تلك اللحظة التى كادت تذهب فيها حياة الساحر سمع الاثنان ضحكة عذبة رفيقة لم تخف عليهما فنسى آبى غضبه وذهب الى النافذة وأطل منها ثم لم يلبث أن أشار الى كاكو وهمس فى أذنه قائلا :

- تعال وانظر . ان أجلك لم ينته بعد

فحبا كاكو الى النافذة ثم قام وأطل منها فرأى الملكة واقفة

فى حديقة القصر السرية ذات الاسوار وأشعة الشمس تنير وجهها الفنان من خلال أغصان شجرة زاهرة . ولم تكن الملكة وحدها اذ كان أمامها رجل بلباس الاشراف قد جثا على ركبتيه . وكان هذا الرجل قائدا فى جيش آنى وكان الامير يحبه لبسالته واقدامه فزوجه باحدى بناته . وقد لعب هذا القائد دوراً كبيراً فى المؤامرة العظيمة التى دبرت لاغتيال حياة فرعون وهو الذي قتل مرمس زوج آستى

جاء هذا القائد يلعب دوراً جديداً هو اظهار الحب للملكة فقد رآه آبى وكاكو وهو يقبل أطراف ثوبها ويتوسل اليها ويتضرع وسمعا طرفاً من حديثه معها اذ كان يقول :

- لقد عرضت حياتى للاخطار وتسلقت الاسوار . انى أعبدك . انى لا أستطيع الحياة بدونك . انى رهن اشارتك فمري بما تشائين . انني أستطيع أن أغتال حياة آبي الذى لا يليق أن يربط سيور نعالك . امنحيني شرف حبك أجعلك ملكة مصر الوحيدة وأقنع بخدمتك كعبد رقيق . قولى كلمة عطف واحدة

كان القائد يتوسل ويتودد كرجل مسه الخبل لا يدرى ماذا يقول أو ماذا يفعل بينما كانت الملكة تصغى اليه بسكينة وتضحك من وقت الى آخر تلك الضحكة الرقيقة الساحرة

وفى النهاية قام وحاول أن يتناول يدها فأبعدته وهي لا تزال تضحك ثم قالت فجأة :

- انك قتلت هرمس وهو منهوك القوى بسبب جراحه . حسن . لقد كان ذلك فى حرب قامت بينكما . انك لابد أن تكون شجاعاً عدا جمالك لانك استطعت أن تأتى الى هنا حيث كلمة واحدة مني تكفي لقتلك . الآن اذهب أيها الصديق الى زوجتك ابنة آبي واذا كانت لديك الشجاعة الكافية فقل لها أين كنت ولماذا

ثم ضحكت مرة أخرى

فأخذ يتوسل اليها مانيه ويستعطف ويبث اليها لواعج حبه ويشكو لها غرامه الى أن رقت لحاله على ما يظهر اذ مدت يدها واختارت له زهرة من بين أزهار عديدة بجانبها وأعطتها اياه ثم أشارت الى الاشجار التى تخفى السور فتوارى بينها فى الحال وهو يترنح من شدة الفرح والابتهاج

لاحظته الملكة وهو يذهب ثم نظرت وهي لاتزال تبتسم ابتسامتها الغريبة الى الشجيرة التى التقطت منها الزهرة . ولاحظ كاكو ان هذه الزهرة لا يستخدمها الا المحنطون لصنع أكاليل الموتى

بيد أن آبي لم يلاحظ شيئاً من ذلك ونسى نزاعه مع كاكو وكل شيء آخر وأخذ يرغى ويزبد ويقسم بأغلظ الايمان ثم لا بد أن يقتل القائد وكذا الملكة الكاذبة التى تجرأت على أن تصغى الى توسلات عاشق وتعطيه زهرة . ثم صمم على قتلها ولو

كانت عشرة من الفراعنة قائلا ان هذا حقه . ثم هم بمغادرة الغرفة وسيفه مشهور فى يده

قال كاكو بصوت مبحوح :

ـ اذا كانت هذه ارادتك يا سيدي فابق فى مكانك

ـ لماذا أيها الرجل ؟

ـ لان جلالتها قادمة . وهـذه الغرفة ساكنة هادئة تليق بعملك هذا اذ لا يدخلها أحد غيرى

ما كاد كاكو ينتهي من كلماته هذه حتى فتح الباب ثم أعاق وظهرت أمامهما الملكة

دخلت الملكة فوقع نظرها أولا على حساه آبى وهو بيده فى يده وسط الغرفة المظلمة فأخذت تنظر اليه تارة والى سـيفه تارة أخرى والى كاكو وهو رابض فى زاوية الغـرفة ثم قالت بصوتها العذب الرقيق

ـ لماذا جردت حسامك يا زوجى ؟

فأجابها وقد تغلب عليه غضبه قائلا :

ـ لأقتلك أيتها الزوجة

فأخذت تنظر اليه لحظة أخرى ثم ابتسمت بحالتها الغريبـة وقالت :

ـ هل حقاً ما تقول ؟ ولكن لماذا أردت قتلى الآن ولم ترده من قبل ؟ هل وجدت فى مشورة كاكو قوة ومسجعاً ؟

ـ لماذا تسألين هـذا السؤال أيتها المرأة الجسورة ؟ أليست هذه النافذة تطل على الحديقة حيث كنت الآن ؟

ـ آه . لقـد تذكرت ذاك القائد زوج ابنتك الذى قتـل مرسى وقد تودد الىّ فأعطيته زهرة أموات عالمة انك تراقبنا . سو حسابك معـه كما تريد أنت وزوجته اذ ليس لى شأن . على أنني أحذرك من مغبة عملك فانك اذا كنت ستقتل الرجال لغلطة كهذه فانك لا تلبث أن تصبح وحيداً لان جميع الذين يريدون اغتصاب مكانك مدنسون

فثار غضب آبي اذ ذاك وسبها ولعنها ورماها بكل نقيصـة وأقسم أن يوردها كأس المنون قائلا انها سحرت جميع الرجال وأوقعهم فى شرك غرامها دون أن تقع هى فى شرك أحد منهـم وجعلته موضع السخرية والاستهزاء في مصر . وكانت الملكة تصغى اليه دون أن تنطق ببنت شفة وبقيت صامتة الى أن فرغ من كلامه وسكت فقالت

ـ انك تتكلم كثيراً وتفعل قليـلا . ان سيفك مشهور فى يدك أيها الامير فلماذا لا تقتلنى به ؟

ورفع سـيفه وقد جن من سخريتها وهجم عليها ولكنه لم يلبث أن ارتد الى الحائط كأن قوة غير منظورة دفعته الى الوراء . استند الى الحائط لحظة ثم عاد فهجم عليها فدفع الى الوراء ثانية

ضحكت الملكه اذ ذاك وقالت :

- يا لك من أمير مسكين لا تستطيع قتل امرأة ضعيفة . اعط سيفك الى كا كو ليجرب لاني أظن انه أعظم منك مهارة في سفك الدماء .

فصاح الساحر قائلا :

- لا تفوهي بهذه الكلمات القاسية يا صاحبة الجلالة لانك تعلمين انني أفضل الموت ألف مرة على أن أرفع أصبعا واحداً في وجهك

فقالت الملكه بخشونة :

- نعم . لقد اقترح عليك الامير آبي الآن قتلي بعد أن اقترحته أنت عليه ثم رفضت . أليس كذلك ؟

سقط سيف آبي اذ ذاك من يده وسادت السكينة في الغرفه فاستطردت الملكة في كلامها قائلة :

- ثم كنتما تتحدثان الآن يا آبي قبل أن تطل من النافذة وترى ذلك القائد معي في الحديقة ؟ ولماذا تريد أن تقتل هذا الكلب ؟ هل تريد أن أجيب بدلا منك ؟ حسن . اعلم انكما كنتما تتحدثان عن كيفية الخلاص مني وقد أردت أيها الامير أن تقتل كا كو لانه لم يجرؤ على أن يخبرك لماذ لا يستطيع قتلي . ولما كنت تريد معرفة السبب فسأخبرك به الآن . أنظر الى أيها الرجل التعس الذي يدعوك الناس زوجا لي . انظر الى أيها العبد

الملعون الذي دفعك آمون الى يدي لأعاقبك هنا على الارض الى أن تذهب اليه في العالم السفلي

نظر اليها آبي ونظر كاكو كذلك لانه لم يستطع أن يمالك نفسه . على أن ما رأياه لم يخبر به أحد نقط خرا على وجهيهما وتأوها .

أخيراً ذهب الخوف عن قلبيهما فاستطاعا أن ينظرا اليها ثانية فوجداها كما كانت — فتاه [illegible]

[illegible] آبي [illegible] .

- من أنت . المعبودة « سخت » مجسمة ؟ أو ازيس الهة الموت ؟ أو شبح كوكب الميتة أرسل الى هنا للانتقام . ؟

- كلها . أو لست واحدة منها كما تسنه [illegible] في الحقيقة أرسلت الى هنا للانتقام . سل هذا [illegible] من أنا وقد أحرت له أن يخبرا .

فقال كاكو متأزماً :

- انها [illegible] ابنة آمون . انها [illegible] كوكب وقد أطلق سراحها [illegible] أولئك الذين ساءوا اليها انها شبح [illegible] قوة الآلهة وقد وقعنا نحن الاثنين [illegible] في حرن فرعون [illegible] آمون في يديها

فدار آبي [illegible] الكبيرتين [illegible] :

ـ أين اذن كوكب الصباح التى كانت ملكة مصر ؟ هل ذهبت الى أوزيريس ؟

فقال الشبح الملوكى

ـ كلا انها لم تمت أيها الرجل . انها لا تزال على قيد الحياة وهي الآن فى طريقها الى حبيبها فاذا ما عادت معه ومع شحاد معين ذهبت أنا. وستموتان أنتما لأن هذه ارادة الآلهة . أما الآن فقوما واصدعا لأمرى الى أن تحون الساعة المعينة

الفصل الرابع عشر

سفينة « رع »

فتحت كوكب الصباح عينيها وكانت قد مضى عليها بعض الوقت وهي راقدة بين اليقظة والنوم وقد خيل اليها أنها تسمع صوت انغماس المجاديف في الماء وصوت المياه وهي تلعب بجوانب سفينة فخمة . أنها في حلم وقالت انها بلا ريب في قصرها في مدينة طيبة وان وصيفاتها سيأتين اليها اذا ما ضج النهار

في قصرها في مدينة طيبة ! . . . تذكرت الآن أنه مضى عليها شهور مذ رأت تلك المدينة . وانها سارت في رحلات بعيدة ووصلت أخيرا الى مدينة تخفى وراء الأسوار البيضاء حيث لقيت سلسلة كبيرة من الحوادث المرعبة

أخذت كوكب تتذكر هذه الحوادث واحدة واحدة [illegible] الملكة . [illegible] بالسحر [illegible] [illegible] ثم [illegible] في [illegible] في [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

وأخيراً تذكرت وقوفها مع آستى في النافذة العالية . ثم لهيب النيران أمام عينيها . ثم سقوطهما المروع وقد هويتا من ذاك المكان المرتفع الى النهر

قالت كوكب في نفسها : آه . لابد أن أكون الآن في عداد الاموات وان هذه الذكريات والاحلام مما يراه سكان العالم السفلي . ولكن لماذا أسمع خرير الماء وصوت انغماس المجاذيف في الماء ؟

فتحت كوكب عينيها بكل بطء اذ خافت ماعساها أن تراه فرأت ضوءاً ينير وجهها فاذا هو ضوء القمر وهو ينير في سماء صافية ورأت على نوره أنها ترتدي ثوباً أبيض ناصعاً وأنها نائمة في فراش داخل مظلة رفعت ستائرها الحريرية وربطت في أعمدة من ذهب . ثم رأت بجانبها جسماً آخر يرتدي ثوباً رمادياً تفقدته فاذا هو آستى وكانت راقدة لاتبدي حراكا بحيث أيقنت كوكب أنها ميتة . على أنها قالت ربما كانت آستى تحلم بي وترى مثل ما أرى فلا بد لي على الاقل من مخاطبتها

همست كوكب في أذن مربيتها قائلة :

- آستى . آستى هل تسمعين صوتي ؟

فتحركت الجسم النائم بجانبها ودون رأسها نحوها ثم سمعت كوكب صوتاً هو صوت آستى دون غيرها يجيبها قائلا :

ـ نعم ياسيدي . بي أسمع وأري . [illegible] أين نحن الآن ؟

ـ انا في العالم الذي على ما أدل يا آسي [illegible] لقد كانت تلك [illegible] هي المرة [illegible] الآن [illegible] لي مكان الارواح

ـ اذا كان الامر كذلك [illegible] أيها [illegible] أن نكون [illegible] مصر [illegible] [illegible] [illegible] اري .

[illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] والفضة و [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] والارواح

قال كوك [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

ستيقظت كوكب الصباح مرة أخرى فماذا رأت . رأت الشمس تضيء سورها الشامخ ولكن ما بها آسى تراقبها . ورأت أمها محتدة غضباً من ضرورة مالك وطاب

دارت كوكب بعينيها من حولها وقالت .

- أخبريني ماذا جرى يا أماه . بي حاجة لا أدري في أي

هم تحي

قالت سنى .

- أنتم ساقي هذه الدنيا أبهى لملكة ولكننا في حماية أولئك الذين نسرهم . فلا ريب في أن هذه السعادة ليست من صنع البشر ولا سوء لي منهم . إن ...الله تعالى أنه في حفة ...

...كما وسر... سعيد ... وحدنا من نفسيها قوة على خروج ... مضة فخرجت ... بها حولها ... دو... تة ... في ... كبيرة وقد انتشر حول هذه المنصة شكه ... من ... في سعيد ... من ... وجد ا... ... مرعتها الجراءفون ... ية وان الحدة ... . أما السلطان ... سمعة ... أنمص ولد ... لم ستفهم كوكب ... فتاة ... سعيدة ... الدهر ...

ى ترعه تكتنفها رمال من الجانبين تلي هذه الرمال صحاري لا تصل العين الى نهايتها

درست ستي الصحراء ثم تحولت نحو كوك وقالت

- هل ... هذه الترعه ياسيدي لأني أبحرت فيها مره ... سفينة صغيرة وهي على ما أعتقد الترعه التي حفرها الفراعنه القدماء ثم أصلحت بعد سقوط ملوك الرعاة (الهكسوس) وانها تمتد من ... الى ذلك البحر الذي يبحر فيه المتجولون نحو الشمس المشرقة (البحر الاحمر)

فقالت كوك

- ربما كان ذلك يا أماه وعلى كل حال فان هذه هي الدنيا التي نعيش فيها ولسنا في عالم آخر . وقد شعرت ... أن ... الآن ... الحياة ... الآن ... الى أين ... سفينته سحرية

... ستي ... لعرفنا ... ولا ... . فعادت ... ثم ... كان ... نحوهما ... ان ...

... ولد ...

... من ...

...

أن يداً غير منظورة رتبت فراشها اثناء غيابها وأزالت بقايا الطعام ووضعت طعاما جديداً على الطاولة

جلست كوكب على كرسى من العاج أعد لها ثم قالت

ـ حقاً أن يد السحر تعمل هنا يا أماه

فقالت آستى بسكينة

ـ وهل فى ذلك ريب ؟ انك بالسحر ولدت . وبالسحر قتل فرعون . وبالسحر أنقذنا الى نهاية لايمكن التكهن بها . وبالسحر تتحرك الارض كما يقولون

فكرت كوكب قليلا ثم قالت

ـ حسن . ان هذه السفينة الذهبية خير من قصر آبى اللعين انى لا اعتقد باننا نسير لغير غاية على انى لا ازال أعجب من تلك الروح التى سمت نفسها « روحي » وما تفعله على عرش مصر وكيف جئنا على ظهر هذه السفينة والى أين نحن ذاهبتان

فقالت آستى بجفاء .

ـ لاتعجبى فسنعلم كل هـذه الاسرار فى الوقت المناسب . انى آسفة لما أصاب آبي على رغم بغضى له

جلست كوكب الصباح ومربيتها آستى داخل المظلة وأخذتا تنظران الى الصحراء وقد خيـل اليها أن سفينتها تسير فوق رمالها الى أن قربت الشمس من المغيب فخرجتا لتسـيرا فوق ظهر السفينة ثم عادتا لتأكلا الطعام اللذيذ الذى كان يقدم اليها

دائما بكثرة . ولما جن الليل ذهبتا الى الفراش فنامتا نوما عميقا اذ كانتا فى حاجة الى الراحة

ولما استيقظتا رأيتا أن النهار قد طلع وسفينتهما تسير فى بحر واسع متلاطم الامواج وأن مظلتها الحريرية استبدلت بغرفة من خشب السنوبر فلم تكترثا بذلك لكثرة ما كان حولهما من المناظر الغريبة المدهشة . وفى الواقع لم تركب احداهما بحراً متلاطم الأمواج من قبل فاصابهما دوار جعلهما تنامان كثيرا وتفكران قليلا مدة ثلاثة أيام وثلاث ليال كاملة

وفى ذات يوم عند غروب الشمس لاحظت كوكب وآستى ان اهتزاز السفينة العنيف انتهي وانتهي معه هبوب الرياح الشديدة التي كانت تسير السفينة بقوة هائلة فأطلتا من غرفتهما الخشبية فوجدتا أن السفينة دخلت مصب نهر عظيم نبتت على جانبيه أشجار كبيرة تدلت أغصانها الطويلة فى الماء وقد التفت حول هذه الاغصان تماسيح وحيوانات اخرى مائية متوحشة ثم شاهدتا المجذفين وقد أخذوا يسيرون السفينة فى النهر الى أن وصلوا الى رأس من الرمال بارزة في المـاء حيث القت السفينة مرساها

شعرت كوكب وآستي بالجوع فأكلتا ولما فرغتا من تناول الطعام وكانت الشمس قد آذنت بالغروب ظهر أمامهما رجلان مقنعان يحمل كل منهما سلة . فاخذت آستى تسألهما عن مهمتهما ولكنهما

كانا أصمين وأبكمين مثل القائد ومدير الدفة فلم ينطقا بكلمة ولكنهما قدما فروض التحية بتواضع وأشارا الى الشاطيء حيث رأت كوكب اذ ذاك ناراً تتقد فوق صخرة لم نعرف من أوقدها

قالت آستى

ـ انهما يريدان أن نغادر السفينة . تعالى ايتها الملكة نقتفي أثر ماخبأه لنا القدر وهو شيء عظيم

فقالت كوكب

ـ كما تريدين يا أماه . اذا لاريب في أننا لم نأت الى هنا لغير غاية

ثم اقتدتنا الرجلين الى جانب السفينة وقد زالت الشبكة التي كانت تقيهم فوجدتا سلما من ظهر السفينة الى البر ولما همتا بالنزول أعطى الرجلان لكل منهما سلة ثم حنيا رأسيهما لهما اكراما واجلالا ثم ذهبا . وما كادت آستى وكوكب تضعا أقدامهما على الشاطيء حتى سحب السلم وأخذت المجاذيف تضرب المياه

دارت السفينة ولم تمض لحظة حتى صارت في وسط النهر وقد وقف الربان عند مقدمها ومدير الدفة في المكان الخاص به وكانت شعة الشمس وهي تكاد تختفي وراء الافق تنير السفينة ومن عليها

نزع الرجلان عن وجهيهما القناع في وقت واحد وكانت آستى وكوكب تراقبانهم فرأيتا وجهيهما فاذا هم فرعون والد كوكب وهرمس زوج آستى . على انه لم تلبث أن جاءت سحابة حجبت

السفينة ولما انقشعت لم تر كوكب ومربيتها السفينة ولم تعلما الى أين ذهبت

قالت كوكب

- حقا لقد زارتنا الارواح يا أماه لان بحارة تلك السفينة منها

فقالت آستي :

- نعم ياسيدتي لقد ظننت ذلك منذ البداية . ومع ذلك تشددي لان هذه الاشباح هي أرواح رجال كانوا يحبوننا . ولا ريب في أنهم لايزالون على عهدهم الى الآن . ثقي يا ابنتي باننا لم ننج من يد آبي ويدي با فرعون ومرمس الى هذه البقعة لسوء أو ضرر سيصيبنا . انظري هنالك نيران تشتعل فهيا نذهب اليها وننتظر بشجاعة ما يصيبنا ونحن واثقتان بأنه لا يصيبنا ضر

ذهبت كوكب وآستي الى الصخرة . ولما كان الظلام قد خيم جلستا بجانب النيران وكان بجانبها حزمة من الخشب لاحيائها وثوبان من وبر الابل لتتقيا بهما شر البرد فلبست كل من كوكب وآستي ثوباً ثم أخذتا تصطليان

تذكرتا السلتين اللتين أعطيتا لهما عندما غادرتا السفينة ففتحت كل منهما سلتها فوجدت آستي طعاماً وكعكا ولحوماً جافة وتمراً بقدر ما تستطيع امرأة أن تحمل . أما كوكب فوجدت في سلتها عوداً من العاج أوتاره من الذهب وأطاره على شكل امرأة فأخرجته من السلة وأخذت تنظر اليه على ضوء

النيران ثم لم تلبث أن صاحت بصوت ينطوى على الخوف والدهشة معاً قائلة :

ـ هذا عودى . . . انه العود الذى قدمه الى الامير أماتيل الذي قتله رامس وغنيت به أغنية المحبين . نعم انه عودى الذى تركته فى طيبة فخبريني الآن يا أماه كيف جىء به الى هنا ؟

فقالت آستي بايجاز :

ـ وكيف جئنا نحن الى هنا . أجيبي على سؤالى أجبك على سؤالك

وضعت كوكب العود ثم نظرت ثانية في السلة فوجدت تحت غلاف من ورق البردى لآلىء عديدة تعد بالألوف، من كل حجم تبهر الابصار وتأخذ بمجامع القلوب . وكانت اللآلىء ذات الحجم الواحد منظومة كل منها فى عقد واحد. أما الكبرى فكانت في قاع السلة ملفوفة فى قطع صغيرة من الحرير كل لؤلؤة على حدتها

قالت كوكب وقد تملكتها الدهشة :

ـ لا ريب في أنه لا يوجد مثل هذا الكنز الثمين عند أعظم ملكة في العالم . بيد انى لا أدري ما فائدة هذه اللآلىء الغاليه والعود في أرض قاحلة موحشة كهذه

فقالت آستى :

ـ لاريب فى اننا سنعلم السبب فى حينه . والآن لنشكر الآلهة على ما أعطتنا اياه ثم نأكل

فأكلتا ولما لم نجدا عملا رقدتا لتناما . بيد أنهما ما كادتا تغمضان أعينهما حتى سمعا زئيراً مزعجاً من ناحية النهر فعلما أنه زئير الاسود اذ سمعتا زئيرها من قبل في حدائق طيبة وبعد ذلك سمعنا عواء الذئاب وأصواتاً أخرى يخالطه شخير الخرتيت وفرس البحر

أخذت هذه الاصوات المخيفة تقترب منهما شيئاً فشيئاً الى أن رأت كوكب وآستي عيوناً صفراء تتحرك في ظرف العتمة كالنجوم في الظلام في حين كانت تجري أشباح ضخمة في الغابة الواقعة وراء الصخرة وظهرت الى جانب النهر المجاور لها وحوش كبيرة ذات أنياب لامعة وأفواه واسعة حمراء

قالت كوكب بصوت خافت

- لقد حانت منيتنا يا أماه اذ لابد أن تلتهمنا هذه الوحوش الكاسرة

الآن آستي رمت أخرى في النيران وانتظرت راجية أن النيران ستخيف هذه الوحوش وتطردها بعيداً . ولكنها لم تفعل شيئاً من ذلك لأن الخوف كان قد أخذ من الوحوش مأخذاً عظيماً على ما يظهر فأخذت تقترب منهما شيئاً فشيئاً الى أن صارت الاسود على مسافة قصيرة من الصخرة في حين اشتدت الوحوش الاخرى من ضبع وذئاب وراء الاسد كأنها ماشية في خدمة ملك

همست كوكب قائلة :

ـ ستقفز علينا في الحال

فقالت آستي :

ـ هل جاءت بنا أرواح فرعون المقدس أبيك ومرمس زوجي ومن معها الى هنا في سفينة « رع » لتلتهمنا الوحوش كخراف ضالة في وسط الصحراء ؟ خذي العود أيتها السيدة واضربي على أوتاره وأسمعيني صوتك الشجي

فتناولت كوكب العود وأخذت تلعب بأناملها على أوتاره الذهبية ثم أخذت تغني . وكانت نبرات صوتها مضطربة في البداية الا أنها أخذت تشتد عند ما نسيت كوكب مخاوفها واضطرابها ولم تفكر بشيء غير الغناء . وهكذا لم تلبث أن رن صوتها الرخيم وسط هذا السكون المخيم في الغابة الموحشة والنهر الهادىء .
ولما ارتفع صوتها العذب ربضت هذه الوحوش الكاسرة ولم تتحرك من مكانها وأخذت تصغي على ما يظهر الى هذا الصوت الجميل كما لو كانت مسحورة . نعم تأثرت الوحوش الكاسرة بغناء كوكب العذب فقد ظهر ثعبان من بين الصخور وأخذ يصغي الى صوتها وهو يحرك رأسه الى اليمين والى اليسار

أمسكت كوكب عن الغناء في النهاية . ولما تلاشى صدى صوتها تحول كل وحش من هذه الوحوش واختفى في الغابة أو في النهر ولم يبق منها أحد عدا الثعبان فانه التف حول نفسه ونام

حيث كان . وهكذا سادت السكينة مرة أخري فنامت كوكب وآستي آمنتين ولم تستيقظا حتى أشرقت الشمس وأضاءت الارض بنورها الساطع

قامت كوكب وآستي وسارتا على الارض الرملية — وكانت لاتزال آثار الوحوش عليها — الي شاطيء النهر فشربتا واغتسلتا. وأخذتا تنظران من خلال الضباب المخيم على النهر لعلهما تجدان السفينة الذهبية التي حملتهما من ممفيس قد عادت وأخذت تنتظرهما في وسط النهر.

بيد أنهما لم تريا شيئاً غير أفراس البحر وهى تظهر وتختفي والتماسيح وهى تزحف على بطونها على الشاطيء فعادتا الى الصخرة التى كانتا تصطليان عليها وأكلتا من الطعام الذى كان فى سلة آستى ولما فرغتا نظرت كل منهما الى الاخرى وهي لا تدرى ماذا تفعل

قالت كوكب .

- تعالى يا أماه نسر فى طريقنا . انما لا نستطيع أن نسير بجانب النهر حيث لا يوجد غير الاحراج والطين فهيا نخترق الغابة الى حيث تقودنا الآلهة

فأطرقت آستى ثم وضعت كل منهما سلتها على رأسها كعادة فلاحات مصر وسارتا في طريقهما وقد تدلى العقد المصنوع من العاج على ظهر كوكب الصاح

سارت كوكب ومربيتها ساعة بعد أخرى و انا بين الاشجار

متجهتين دائماً نحو الجنوب . وكانت القردة ترى وهي جالسة فوق أطراف الاشجار والطيور الجارحة وهى تحلق فوقهما من وقت الى آخر ثم تختفي بين الاشجار العالية ولم تريا غير ذلك . وأخيراً أخذت الارض عند منتصف النهار ترتفع والاشجار تصغر وتبعد عن بعضها الى أن وصلتا في النهاية الى حرف صحراء رملية فسارتا الى واحة صغيرة حيث عثرتا من الحشائش الخضراء انهما ستجدان ماء . وفي الواقع وجدتا غديراً فجلستا عند شاطئه ثم أكلتا مما كان معهما من الطعام وشربتا ولما فرغتا نامتا قليلا

سمعت كركب خاتون أثناء نومها صوتاً فاستيقظت وهي تنتفض ورأت رجلا بجانبهما يتكئ على عكاز ويتفرس في وجههما . وكان رجلا غريب المنظر طاعناً في السن على ما يظهر لان شعره الابيض الطويل كان يتدلى على كتفيه ولحيته البيضاء قد وصلت الى صدره . وكان طويل القامة الا أن الشيخوخة قوست ظهره وكانت عظام جسمه الهزيل ترى وهي بارزة من خلال ثيابه البالية وكانت عيناه ضعيفتين . فقد انحنى الى الامام وهو يتفرس في وجههما باندهاش وكان وجهه كثير التجعد وتدل لفحة الشمس والرياح على أنه كان يبدو عليه سيماء الرقة والدعة . وفي الواقع لولا شيخوخة الرجل الظاهرة وتقاطيع وجهه الكبيرة لظهر كأنه قد يموت قبل مرته

جاءت كوكب ونظرت الى الرجل ثم قالت .

ـ أخبرني يا أبتي من أين أتيت وماذا تريد من خادمتك ؟

فقال الشيخ بصوت عذب :

ـ أتيت يا بنتي من البرية التي هي موطني . لقد عرفت كثيراً من أبناء جيلي . نعم وأكثر من أبنائهم [illegible] ! فلبست في [illegible] غير البرية والغابة لا انسان [illegible] دون [illegible] منذ صبي [illegible] بحالي لاني [illegible] الا كل [illegible] أيام كاملة . [illegible] ابحث [illegible] من هذا [illegible] يا ابنتي لاني أشرفت على الموت جوعاً

فقالت كوكب :

ـ انه لك يا . . .

ثم سكتت

وقال [illegible] :

ـ [illegible]

فذهبت [illegible] على [illegible]

ـ [illegible]

ثم [illegible]

[illegible] على [illegible] وأحد [illegible]

قالت آستي :

- سيأكله كله ياسيدتي ولايبقي لنا شيئاً . وعليه لابد أن نموت جوعاً في وسط هذه الصحراء

فقالت كوكب :

- انه ضيفنا . دعيه يأكل حتى يشبع

فسكتت آستي هنيهة ثم صاحت صيحة العجب فقالت كوكب :

- هدئي روعك يا أماه . لقد قلت انه ضيفنا فيجب أن تراعي آداب الضيافة

فدمدمت آستي قائلة

- اذن ستقضي علينا آداب الضيافة وتوردنا كاس الهلاك

- فليكن ذلك يا أماه . اننا سننقذ روحا من الموت على الاقل . ضعي ثقتك في آموز ولا تخشى شرا

فاهت كوكب بهذه الكلمات ثم اغرورقت عيناها بالدموع لعلمها أن آستي لها الحق فيما قالت فقد ذهب الآن الطعام الباقي لديهم وكان يكفيهم مدة يومين بكل تقتير فلا مندوحة اذن من الموت جوعا ان لم تأتهما يد المساعدة وهو أمر بعيد الوقوع في مكان موحش كهذا . وقد ذاقت كوكب وآستي منذ مدة ليست بعيدة آلام الجوع في المرج فكانت هذه الفكرة بفكرة تجدد ذلك الالم البطيء هي السبب في تأثر كوكب حتى اغرورقت عيناها بالدموع

وبينا كانت كوكب وآستي تفكران بما عسى أن يصيبهما كان كيفر قد فرغ من التهام الطعام بشهية حادة غريبة فلم يبق على شيء مما كان في السلة. ولما أكل آخر تمرة ناول السلة الى كوكب وحنى رأسه كراما ثم قال وهو ينظر اليها بعينيه الجامدتين

- اشكرك يا ابنتي . لم تكن ملكة مصر لتكرمني اكثر مما اكرمتني . لقد عانيت ألم الجوع مدة طويلة فامتلأت معدتي بعد ان كانت خاوية . ولما كنت عاجزا عن مكافأتك فانني أدعو الالهة أن تحاربك عن صنيعك وأن لا تجعلك تعانين ألم الجوع

لم تمالك كوكب نفسها عند هذه الكلمات فسقطت دمعة من عينيها على يد كيفر الخشنة وقالت وهي تتنهد

- انني مسرورة اذ استطعت ان أرد عنك غائلة الجوع ولكن ارجو أن لا تهزأ بنا أيها الصديق لانك تراه [illegible] لا نلبث أن نموت جوعا اذ فرغ [illegible]

فقال [illegible]

- ماذا تقولان [illegible] ماذا تقولان ؟ كيف [illegible] أعطيتما كل ما لديكما من الطعام [illegible] في البراري والقفر وتجلسان [illegible] ؟ ألا [illegible] ؟

فقالت كوكب

- [illegible] يا أبتاه [illegible]

عذابي هذا الضعف ولكن قد تاسيت أنا وصديقتي هذه آلام الجوع في المدة الاخيرة لذا أثرت ذكراه المؤلمة في نفسي . تعالى يا آستي نسر في طريقنا قبل أن نعجز عن المشي

ورفع كيفر حاجبيه عند ذكر اسم آستي ثم نظر الى كوك وقال

- انك جميلة يا ابنتي وقلبك طاهر نقي ولولا ذلك لما عاملتني هذه المعاملة . بيد انه يخيل الى انك في حاجة الى شيء واحد وهو الثقة العمياء برحمة الآلهة ولو انك الآن تخترقين الغابات الوعرة التي تسكنها الوحوش الكاسرة والطيور الجارحة دون أن يمسسهن أذى لا يختصبن في ايمانك . اجيبيني الآن كيف جئتما الى هذا المكان ؟

فاسرعت آستي في الجواب قائلة

- أننا من سيدات مصر أو على الاقل هذه السيدة . نحن لا نبني عرينها . وقد ساقنا جمعة من الفرسان من أهل فنبقيا من تجار الرقيق الابيض أثناء تجولنا على شاطيء النيل وجاؤا بنا الى هنا في سفينتهم ولا ندري بأي طريق وأخيرا ساروا في ذلك النهر القريب فهربنا منهم أثناء الليل . وعليه فنحن من الرقيقات الهاربات

فقال كيفر :

- ... أيتها المرأتان في حزنو على خسارة ... واني لا عجب كيف لم يقتفوا أثركما . على انني أظن ان الأمر ... كنت ... الرمال ابلة أمس وزارني

روح من العالم السفلى وأخبرنى أن أبحث من امرأة تدعى آستى ومن سيدة أخرى معها لا أتذكر اسمها ولكنى أتذكر اسم الروح فقد أخبرنى به وهو يسمى مرمس

فصاحت آستي عندئذ وأخذت تتفرس في وجه كيفر دون أن يكترث هو بعملها وأخيراً قالت بهدوء

ـ أرى انك نبي في ثوب شحاذ

فأجابها الشيخ قائلا

ـ من المحتمل ياآستى . لقد لاحظت أثناء حياتى الطويلة انه كثيراً مايكون الرجال أعظم مما تدل عليه حالتهم الظاهرية ـ وكذا النساء . وربما تعلمت هذا الامر نفسه لان المربيات في البيوتات العظيمة كثيراً مايلاحظن أموراً كثيرة اذا أردن . ولكن خير لنا أن ندع هذا الحديث الآن . لقد هربت أنت ورفيقتك . . . ما اسمها ؟

فقالت آستى بسرعة

ـ اسمهانيفرت

ـ نيفرت . آه ! لاريب في ان هذا ليس الاسم الذى ذكره لى الروح ولو انه يقرب قليـلا منه على ما أظن . حسن . لقـد هربت أنت ورفيقتك نيفرت من أولئـك القرصان الاشرار وجئتما ببعض أشياء معينة معكما مثل هذا العود الجميل . ولكن

ماذا تحملان فى السلة الاخرى ؟

فأجابت كوكب بسرعة قائلة :

- لا لىء

- سلة كبيرة من اللآلىء . هل لى أن أراها ؟ كلا . لا تخافا . انني لا أخون من أكلت طعامهم . ان ذلك ضد عادة الصحراء

فقالت كوكب :

- بلا ريب . لم يخطر ببالى قط انك تسرقنا لانك لو كنت من اللصوص لما كنت على هذه الحال من البؤس والجوع . لقد زعمت انك قصير النظر لاتستطيع أن تميز بين اللؤلؤة والحجر

فقال الشيخ وقد ارتسمت على فمه ابتسامة مرة

- لم أفقد بعد حواسى يا نيفرت

فناولته كوكب السلة ففتحها وأخرج عقود اللآلىء وأخذ يجسها بأصابعه ويشمها ثم يضعها على مقربة من عينيه ويمسها بطرف لسانه خصوصاً اللآلىء الكبيرة التى كانت ملفوفة على حدة . ولما فرغ من فحصها أعادها الى السلة ثم قال :

- لعمرى انى لا أعجب يا آستى كيف ان هؤلاء الفرسان لم يحاولوا اقتفاء أثركما الى هذا المكان . وسواء كانت هذه اللآلىء لهم أو لكما فانها تكفي لشراء مملكة

فقالت آستى :

- اننا لانستطيع أن نأكل ا٠ا ..

ـ كلا . ولكن اللآلىء تشترى أكثر مما تحتاجان اليه من الطعام

فقالت آستى :

ـ ولكن ليس ذلك فى صحراء قاحلة

ـ نعم ولكن توجد فى هذه الصحراء مدينة ليست بعيدة

فقالت كوكب بلهفة شديدة :

ـ هل تسمى هذه المدينة ناباتا

ـ ناباتا ؟ كلا . ومع ذلك قد سمعت بهذه المدينة التى تسمى مدينة الذهب وقد زرتها مرة وأنا شاب وذلك منذ مائة سنة ونيف

ـ منذ مائة سنة ! هل تتذكر الطريق الموصل اليها ؟

ـ نعم . أكاد أعرفه ولكن يستغرق الانسان عاماً كاملا فى الوصول اليها سيراً على الأقدام . والطريق اليها يخترق صحارى عظيمة وفيافى وعرة تقطنها قبائل متوحشة فقليلون يصلون اليها أحياء

فقالت كوكب :

ـ ومع ذلك لابد لى أن أصل اليها يا أبتى أو أموت

ـ ربما تصلين اليها يا ابنتي نيفرت ولكن أظن ان ذلك لايكون في هذا الوقت . والآن لديك عود وأظن انك تعرفين العزف والغناء ثم لديكما لآلىء ثمينة . اعلما ان سكان هذه المدينة

التي أخبرتكما بها الآن مغرمون بالغناء والموسيقى وكذا يحبون اللآلىء الثمينة ويقـدّرونها . ولما كنتما لاتستطيعان السفر الى مدينة نابانا الا بعـد ثلاثة أشهر أي بعـد ماتملأ الأمطار التي تتسـاقط فوق الجبال ـ الآبار فانى أرى من اصـالة الرأي أن تمكثا في هذه المدينة مدة تحترف آستى فى خلالها حرفة الاتجار باللآلىء وأنت ابنتها حرفة الغناء والموسيقى . . . فما قولكما ؟

فقالت كوكب بملل :

ـ أقول انه يسرنى الخروج من هذه الصحراء . هيا بنا الى المدينة ياأبتى كيفر اذا كنت تعرف الطريق

ـ انني أعرف الطريق وسأرافقكما الى هنالك جزاء الأكلة اللذيذة التى قدمتماها الىّ

ثم تناول عكازه الطويل وسار أمامهما

قالت كوكب بعد هنيهة :

ـ ان كيفر هذا يسير بخطوات غريبة لايستطيع أن يخطوها رجـل طاعن فى السن مثله . لقـد كاد يكون عاجزاً عن المشى عند مارأيناه أولا

فقالت آستى :

ـ تقولين رجل ؟ انه ليس برجل بل روح ـ ولا أدرى ان كانت طيبة أو شريرة ـ ظهرت في شكل شحاذ . هل يستطيع رجل أن يأكل مثـله كل ما كان فى السلسلة من الطعام ؟ وهل

يتكلم أى رجل عن مدن زارها وهو فى صباه منذ مئة سنة ؟ أو يقول ان زوجى الميت تكلم معه أثناء نومه ؟ كلا . كلا . انه شبح كتلك الاشباح التى كانت فى السفينة

فقالت كوكب بابتهاج :

ـ ان هذا يسرنا لان الارواح أظهرت لنا صداقة عظيمة ولولاها لكنت الآن في عداد الأموات أو أعانى آلام الذل والعار

فقالت آستي وقد أعياها التعب وحرارة الشمس

ـ سنقف على حقيقة أمره في النهاية . أما الآن فليس لدينا غير أن نجد السير وراءه

سارت كوكب وآستي خلف الشيخ المسن حتى أعياهما التعب على أنهما جدتا في المسير الى أن صعدتا قرب المساء فوق رابيـة صخرية شاهدتا من فوق قمتها مدينة كبيرة ذات أسوار واقعـة في واد خصب ذي مراعى خضراء

سار كيفر أمامهما نحو هذه المدينة الى أن وصلوا الى مجموعة من الأشجار عند أطراف الارض المزروعة فوقف كيفر عندها وخاطبهما قائلا :

ـ الآن أسدلا قناعيكما وامكثا في هذا المكان واذا سألكما أحـد فقولا انكما من النساء الفقيرات جلستما لتستريحا . واذا شئتما أعطياني لؤلؤة صغيرة من العقود لابيعها في هذه المدينة

واسمها « نات » وابتاع لكما طعاماً ومكاناً تقيمان فيه

فقالت كوكب بصوت خافت :

ـ خذ عقداً

ـ كلا . كلا يا ابنتي : لؤلؤة واحدة كافيـة لأن اللآلىء في هذه المدينة نادرة ولها قيمة عظيمة

قالت آستي :

ـ لا أدري اذا كان هذا الرجل أو الروح سيعود الينا ثانية فلم تجبها كوكب . وكان التعب قد أعياها فاستندت الى جذع شجرة ونامت ولما استيقظت رأت ان الشمس قد غربت وأن كيفر استعاد واقفا أمامها ومعه عبدان يقود كل منهما بغلا مسرجا .

قال كيفر :

ـ اركبا أيتها الصديقتان فقد وجدت لكما مسكناً

فركبتا الى أبواب المدينة وقد فتحت بأمر كيفر ثم سارتا فى شرع طويل الى منزل قائم وسط حديقة ذات أسوار فدخلتا بعد أن عاد العبدان بدابتيهما فوجدنا المكان مفروساً بأثاث جميـل ووجدتا في غرفة مجاورة منضدة عليها طعام كثير فأكل الثلاثة ولما فرغوا أمر كيفر امرأة كانت تتولى خدمتهم بأن تسير امامهما الى غرفتهما قائلا انه سينام في الحديقة

فذهبت كوكب ومربيتها الى هناك دون أن تلقيا أسئلة أخرى وألقيتا بنفسيهما على الفراش الذي أعد لهما ونامتا نوماً عميقاً

الفصل الخامس عشر

كوكب وملاك « نات »

- - - - -

اشرقت شمس اليوم التالى فاستيقظت كوكب وآستى وبعد أن بدلتا ثيابهما واكلتا وجدتا فجأة ان كينر الشحاذ معهما في الغرفة دون أن تسمعه احداهما أو تراه يدخل الغرفة

نظرت اليه كوكب بدهشة وقالت

ـ لقد جئت خلسة أيها الصديق . ان الاشباح لاتستطيع التحرك بمثل هذه الخفة . . .

ثم نظرت الي الشمس خارج الغرفة أولا ثم الى الارض التي وقف كينر عليها وقالت

ـ أين خيالك ؟

فقال الشيخ بصوته الخشن

ـ لقد نسيته . ان رجلا فقيرا مثلى لايستطيع أن يحمل خياله دائما . ولكن انظرى . ها هو الان . اخبرينى ماذا تعرفين عن الاشباح التى لايعتقد بها غير العارفين بفنون السحر ؟ لقد سمعت عن سيدة فى مصر تسمي باسمك يا آستى لاتستطيع رؤية

الاشباح فقط بل تستطيع اخراجها من جسم الانسان وتعطيها جميع أشكال الحياة . وقد سمعت أيضا ان التى تحكم في مصر الآن لها شبح يستطيع أن يقوم مقامها ولا يستطيع أحد أن يميز بينهما وهذا الروح الذي وهبه آمون لها يوم ميلادها ينتقم بلا شفقة ولا رحمة . اخبريني ايتها الصديقة آستى هل سمعت عن مثل هذه الاشياء لما كنت فى مصر ؟

ثم نظر اليها ونظرت اليه الى أن حرك يديه بطريقة مخصوصة فحنت آستي اذ ذاك رأسها ولزمت الصمت

على ان كوكب كانت قد اضطربت لهذا الحديث لانها لم تدر ماذا يصيبهما وعرف الناس حقيقتهما فخاضت معهما فى الحديث فقالت

ـ مرحباً بك يا أبى كيفما أردت أن تأتى سواء بخيال أو بدون خيال . لاريب في اننا لانستطيع أن نقدم اليك ما تستحق من آيات الحمد والشكر على خدماتك الجليلة ... هل لك فى تناول شيء من الطعام ؟

فتبسم الشيخ وقال

ـ كلا . انني كما لاحظتما أمس لا أذوق طعم الاكل الا نادراً والعادة أن آكل كل ثلاثة أيام مرة . ان الحياة قصيرة بحيث لا استطيع أن أضيع وقتى فى الاكل

فقالت كوكب

ـ اذا كنت ترى ذلك وقد بدأت حياتك منذ مائة سنة

ونيف فكيف بنا نحن ؟ ولكن اخبرني يا أبتي ماذا تفعل فى هذه المدينة ؟

ـ لقد اخبرتك أيتها الانسة . ستتجر آسني باللآلىء والبضائع الاخرى وانت تغنين . ولكن يجب أن يكون غناؤك دائماً من وراء ستار او عليك أن لاتدعى رجلا من أهل هذه المدينة خصوصا حاً كمها أن يرى جمالك . اعطني لؤلؤتين آخرتين لاشترى لكما اشياء أخرى تحتاجان اليها . ومن المحتمل أن لاترياني بعد ذلك قبل انقضاء مدة طويلة . ولكن اذا مسكما ضر اذهبي يانيفرت الى النافذة فى أى مكان تكونين واضربى على أوتار عودك ونادى ثلاثا اسم كيفر . وسيسمع نداءك بلا ريب رجل ما فيحمل الىّ الخبر فى الصحراء حيث أعيش واذ ذاك آتى الى مساعدتكما

فقالت كوكب

ـ اشكرك يا أبتى سأتذكر . ولكن اسألك المعذرة اذا قلت لك كيف يستطيع رجل . . .

ثم سكتت

فقال كيفر

ـ كيف يستطيع رجل طاعن فى السن يرتدى خرقا بالية بائس مسكين أن يساعد رجلا أو امرأة ... هل هذا ما كنت تريدين قوله يانيفرت ؟ حسن . لاتحكمي بالظواهر يا ابنتي . ان الحجر

الجيدة لاتوجد عادةالا فيالاواني المصنوعةمن الفخار، والنيران المخبأة فى صوان الزناد تستطيع أن تدمر أعظم مدينة

فقالت كوكب

- اذن يستطيع متجول استطاع أن يطوى خياله أن يساعد متحول آخر وقع فى شر . لقد فهمت يا ابتى وقد رأيت على رغم حداثتي أموراً كثيرة وأخرجتنى قبل الآن أيادي غريبة من مياه عميقة

فقال السيخ

- كأيدي القرصان الفنيقيين . حسن . الى الملتقى . سأذهب الآن لشراء ما تحتاجان اليه بثمن هاتين اللؤلؤتين ثم أذهب الى الصحراء . تذكرا ما اخبرتكما به ولا تحاولا مغادرة هذه المدينة حتي تتساقط الامطار على الجبال وتملأ الابار . الى الملتقى أيتها الصديقة آستي . سأتكلم معك عن الارواح بعد عودتي . أما الآن فاني أدعكما فى حماية اله مصر العظيم آمون

ثم حول وجهه وذهب

قالت كوكب عند ماسمعتا باب المنزل يقفل وراءه

- ماهذا الرجل ؟

فقالت آستى

- رجل ؟ لقد اخبرتك انه ليس برجل . هل يستطيع الرجال أن يطووا خيالهم كما تطوى الثياب ؟ انه اله أو شبح فى ثياب شحاذ

- سواء كان رجلا أو شبحا فانى احبه يا أماه لانه أظهر لنا صداقة عظيمة وقت الحاجة

فقالت آستى

- سنعرف ذلك اذا مافرغ من مهمته معنا

أخذت كوكب وآستى تتحدثان عن كثير وما صادفهما من الحوادث الغريبة ولم يكد ينقضي على بدء حديثهما ساعة حتى أخذ الحمالون يصلون الى المنزل وهم يحملون منفات وجدت عند فتحها أنها أقمشه حريرية مطرزة بالخيوط الذهبية والفضية وجاردا غالية كالتى يصنعها العرب وأواني من المرمر والنحاس وبضائع أخرى غالية كثيرة لا يمتلكها اكبر التجار

وضع الحمالون هذه البضائع على الحصر والرفوف فى الغرفة الامامية من المنزل المطلة على الشارع وكانت كأنها بنيت خصيصاً لهذا الغرض ثم انصرفوا دون ان يطلبوا أجراً . وظهر بعدئذ رجل يمتطي صهوة جواد أبيض جميل فترجل ثم انحنى أمام لوحة مثقوبة من الخشب كانت آستى وكوكب مختبئتين وراءها ووضع كتاباً على منضدة صغيرة ثم سار فى طريقه . ولما ذهب فتحت آستى باباً صغيراً فى الحجاب الخشبي وأخذت الكتاب فوجدتا باللغة المصرية

كان هذا الكتاب هو العقد الخاص ببيع المنزل والحديقة لكوكب وآستى معاً وكذا البضائع التى جاء بها الحمالون . . فقد

ورد في ذيل هذا الكتاب مايلي :

« وصلني أنا كيفر المتجول ثلاث لآلىء وأكلـة كاملة من اللحم والتمر ثمناً للمنزل والحديقة والبضائع المذكورة آنفاً »

ثم يلى ذلك ختم كيفر بالشمع وكان على شكل جعران بين رجليه الاماميتين رمز الشمس

نظرت كوكب الى الختم ثم قالت

ـ أنه ختم لا يحمله الا الامراء والملوك

على ان آستي لم تجبها على قولها هذا وقالت

ـ اذا كانت هذه قيمة اللآلىء الصغيرة فى هذه المدينة فكم تكون قيمة اللآلىء الكبيرة ؟ هيا نتولى أعمالنا فان أمامنـا وقتاً طويلا ولا نستطيع أن نعيش على اللالىء والبضائع الغالية

وهكذا صارت كوكب الصباح ، ابنة آمون وملكة مصر وآستى مربيتها ، سيدة السحر — تاجرتين فى مدينة تات

نظمت كوكب وآستي أعمالها كما يلى : تجلس آستى ساعة فى الصباح وساعة بعد الظهر وهى مقنعة مع احدى الخادمات لتتجر مع الرائحين والغادين فتبيع لمن يريدون الشراء وتأخذ الثمن تبراً وبضائع غالية وتشترى ممن يريدون البيع الى أن ينتهي الوقت المعين فتبدأ كوكب بالغناء على العود وهى وراء الستار واذ ذاك تقف حركة البيع والشراء ويأخذ الناس فى سماع صوتها الشجى وكان الشارع فيهذه الاوقات يزدحم بالناس على سعته. ولا عجب

فقد انتشر صيتها في جميع انحاء المدينة ووصل الى الجهات المجاورة واذا ما انتهت كوكب من الغناء تذهب مع آستي الى الغرف الداخلية من المنزل وتتركان البضائع في حراسة الخدم ثم تأكلان وبعد فراغهما من الطعام تخرجان الى الحديقة الواسعة ذات الاسوار الواقعة وراء المنزل للنزهة وترويح النفس

مرت الايام والاسابيع على هذه الحال ولم تمض مدة يسيرة حتى أصبحتا من أغنياء التجار مع انهما لم تبيعا غير عدد قليل مع اللآلىء الصغيرة . وقد تراكم لديها من التبر والسبائك الذهبية شيء كثير بحيث لم تعرفا ماذا تصنعان به . ولم يجرأ أحد على أن يمسهما بأذي أو يحاول السطو عليهما . وقد يكون السبب في ذلك ما كان يدور على ألسنة أهل المدينة من أن هاتين الغريبتين اللتين جاءتا من مكان غير معروف هما تحت حماية أحد الالهة

لم تعرف اسباب هذه الاشاعه ولا كيف اذيعت فى المدينة على انها كانت سببا فى كف أذى السكاذ عنهما . وفوق ذلك كان الذين يعاملونهما يوفون ما عليهم من الدين ولا يجرأ أحد على اغتصاب شيء مهما قل من موالهما . وأظهر الخدم كذلك لهما ولاء واخلاصا عظيمين

وهكذا انجرت كوكب وآستي وبقيتا حافظتين لاسرارهما منتظرتين الساعة المعينة لفرارهما ولكنهما لم تجرآ على الخروج عن أسوار منزلهما .

اتفق عند وصول كوكب الصباح ومربيتها آستى الى مدينة تات ان ملكها كان فى حرب مع ملك آخر من ملوك البلدان الواقعة على الشاطىء . على انه بعد انقضاء بضعة أسابيع على نزولها فى المدينة عاد الملك وكان اسمه يانيس ظافراً فأخذ يتأهب للاحتفال بالنصر الذى ناله

وبينما كان الملك يتأهب للاحتفال بنصره أبلغه رجال حاشيته عن تاجرتى اللآلىء . واذ آنس من نفسه ميلا الى اقتناء بعض اللآلىء ليتحلى بها يوم حفلة النصر ذهب متنكراً الى منزل التاجرتين . واتفق انه وصل متأخراً فطلب رؤية اللآلىء . وكانت كوكب قد أخذت على حسب عادتها تضرب على عودها ثم بدأت تغنى فأخذ الملك ـ وكان دون الاربعين من عمره ـ يصغى باهتمام الى صوتها العذب ونسى كل ماجاء من أجله

انتهت كوكب من غنائها فقامت آستى وهي مقنعة وحيت الجماهير المحتشدة باحناء رأسها ثم أمرت خدمها بقفل الابواب ونقل البضائع

فقال يانيس :

ـ انى أريد شراء بعض لآلئك الغالية أيتها السيدة

فقالت آستى :

ـ عليك أن تعود بعد ظهر اليوم . واعلم انك لو كنت ملك تات نفسه لما بعت لك شيئاً من وقتى

فصاح يانيس غضباً قائلا :

ـ انك تتكلمين كلمات عالية أيتها المرأة

فقالت آستي :

ـ سواء كانت عالية أو واطئة فانني أعنى ما أقول أيها الرجل

ثم حولت وجهها عنه وذهبت

عاد الملك يانيس قبل الغروب وكانت رغبته فى سماع ذلك الصوت الرخيم أعظم منها في الشراء ومع ذلك طلب رؤية اللآلىء فقدمت اليه آستى بعضها فنبذها جانباً بحجة انها صغيرة الحجم فأرته أكبر منها فنبذها كذلك وهكذا الى أن أخرجت آستى من بين طيات ثيابها لؤلؤتين من أكبر اللآلىء التى كانت لديها . فلما وقع نظر يانيس عليهما أبرقت عيناه لانه لم ير مثلهما من قبل فسأل عن الثمن فقالت آستى بدون اكتراث ان ثمنهما يربو بلا مراء عما يستطيع دفعه اذ لا يوجد فى العالم مثلهما الا عدد قليل ثم ذكرت وزنة من الذهب. فاضطرب الملك عند سماعها وخطا خطوة الى الوراء اذ كان ماطلبته يعادل ربع الجزية التى أخذها من البلاد التى فتحها حديثاً

قال الملك :

ـ انك تسخرين أيتها المرأة . لاريب في ان هناك تخفيضاً

فقالت آستى :

ـ انني لا أسخر أيها الرجل وليس هناك تخفيض

ثم أعادت اللؤلؤتين الى مكانهما بين طيات ثيابها

فثار غضب الملك اذ ذاك وقال :

- هل تعلمين انني ملك تات وانني أستطيع اذا أردت أخذ كل مالديك من اللآلىء دون مقابل ؟

فنظرت اليه آستي وقالت ببرود :

- أحقاً ماتقول ؟ حسن . اذا سرقت بضاعتي كما تقول انك تستطيع تكون ملك اللصوص أيضاً

فضحك الذين سمعوا قولها ورأى الملك ان أحسن وسيلة هي الاشتراك معهم فى ضحكهم . وبعدئذ استمرت المساومة بيد انه قبل انتهائها بدأت كوكب الصباح فى الساعة المعينة تغني من وراء الستار فقال الملك لآستي

- كفى الآن . سأدفع اليك الثمن الذي تريدينه غداً . أما الآن فسأصغي الى هذه الموسيقى التي هي لدي أحب من كل شيء .

أخذ الملك يانيس يصغي الى الغناء كرجل مذهول لان كوكب كانت تغني بصوت عذب رخيم . ثم أخذ يقترب من الستار شيئاً فشيئاً دون أن تشعر به آستي اذ كانت مشتغلة بنقل البضائع الى أن وصل اليه فى النهاية فوضع أصابعه فى ثقوبه ثم مال نحوه كرجل كاد يغمى عليه وألقى بنفسه الى الوراء فسقط معه الستار على الارض وبانت من ورائه كوكب وهى واقفة سافرة الوجه ترتدي

ثوباً مزركشاً جميلا وتضرب على عودها المصنوع من العاج والذهب. وقد سطع جمالها فبهر أعين الجميع كما تبهر الشمس أعين الناظرين فلزموا الصمت لحظة ثم صاح أحدهم قائلا :

- لاريب في ان هذه السيدة ملكة جليلة الشأن .

وقال آخر :

- كلا . انها الهة

على انه لم يكد هـذا ينطق بآخر كلمة حتى كانت كوكب قد توارت عن الانظار

أما الملك يانيس. وقف ينظر اليها مبهوتاً وهو يترنح قليلا ولما هربت تحول نحو آستي وقال :

- هل هذه السيدة جاريتك ؟

- كلا أيها الملك . انها ابنتي وقد أسأت اليها بتحسسك عليها

فقال يانيس بتؤدة :

- اذن أرغب في أن أحمل ابنتك هـذه زوجتي — هـل فهمت قولي ياتاجرة اللآلىء ؟ — وسأعطيك هدية من الذهب تعادل ثمن اللآلىء

فنظرت اليه آستي وواجهته قائلة :

- لقـد أراد ذلك ملوك كثيرون وقدموا الىّ أكثر مما قدمت ولكنها ليست لك ولا لاحد منهم

فأتي يانيس بحركة كأنه همّ بضربها على انه كبح جماح غيظه وقال بهدوء :

ـ جواب خشن على سؤال لين . لاعجب اذا كان هذا جوابك اذ لا يعرفكما هنا أحد ولا يعلم من أين أنتما . ان الاعين تراقبنا الآن . سأتكلم معك غداً . أما الآن فاستريحا فى سلام

فقالت آستي :

ـ من العبث أن . .

على انه لم يقف حتى تم حديثها معه بل غادرها وسار فى طريقه

ذهبت آستي الى كوكب وهي في الحديقة وأبلغتها كل مادار بينها وبين الملك من الحديث فقالت كوكب بقلق :

ـ أود أن يكون كيفر الشحاذ معنا الآن لاننى أشعر بأننا وقعنا في الشرك . على انه مهما فعل يانيس هذا فلن أكون زوجة له

فقالت آستي

ـ اذن أرى انه خير لنا أن نفر هذه الليلة الى الصحراء ونبحث عنه هناك لانك تعلمين ياسيدتي مايصيب الرجال الذين يقعون فى شرك جمالك

ـ نعم انني أعرف ما أصاب الامير أماتيل وما سيصيب آبي على يد من خلفتها ورائي . وعندي سيكون نصيب هـذا الملك نصيبهم ومع ذلك هيا بنا

فأطرقت آستى هنيهة ثم ذهبت الى المنزل وسألت الخدم بعض أسئلة ثم عادت في الحال وقالت :

- عبثاً نحاول الفرار يا ابنتى فقد بث الملك الجنود حول المنزل وحاولت احدى نسائنا الخروج فردها الجنود قائلين ان الملك أمر بأن لايغادر المنزل أحد

فقالت كوكب :

- هل لى أن أضرب الآن علي العود وأنادي باسم كيفر كما أمرنى ؟

- أظن انه لم يحن الوقت بعد أيتها السيدة . فقد يزول هذا الخطر أو يأتينا رأي صائب أثناء الليل واذ ذاك يغضب لانك دعوته لغير سبب . هيا بنا الى المنزل لنأكل

فدخلنا المنزل وبينما كانتا تتناولان الطعام اذ سمعتا ضجة وجلبة ولم تلبثا أن شاهدتا على نور المصباح بعض النسوة وقد دخلن الغرفة يتقدمهن خصيان

فجردت كوكب خنجراً من بين طيات ثيابها وهجمت عليهما على ان كبيرهما وهو رجل طاعن فى السن حنى رأسه أمامها وقال

- انك تستطيعين قتلى اذا أردت لانني أعزل ولكن هناك كثيرين منا فى الخارج فلا فائدة من المقاومة . اصغى الىّ . ستكونين في أمان أنت ورفيقتك . لقد قضت ارادة الملك أن لاتقطن سيدة ذات جمال وجلال مثلك فى هذا المكان فأمرنى

أن آخذكما مع جميع ماليكما الى مكان لايقل بهجة عن قصره ليتحدث معكما

فقالت آستي :

ـ ردي خنجرك الى غمده يا ابنتي ولا تضيعي الوقت في محادثة هؤلاء العبيد . والآن هيا بنا اذ ليس لدينا مانختاره غير ذلك

ارتدت كوكب وآستي ثيابهما وتقنعتا ثم حملتا على نقالة مزدوجة على أكتاف العبيد مع ما كان لديهما من اللآلىء والذهب في حين جمعت جواري الملك ما بقي في المنزل وحملته مع الخدم وتركن المنزل قاعاً صفصفاً

حملت كوكب ومربيتها تخفرها الجنود فسار بهما الخدم مجتازين شوارع هادئة الى أن وصلوا الى أبواب كبيرة قفلت وراءهم وبعد صعود وهبوط وضعت النقالة ثم دخلت كوكب وآستي غرفة واسعة جميلة مضاءة بمصابيح فضية . في حين أخذ النساء يضعن البضائع وغيرها في الغرف المجاورة

لم يمض وقت يسير حتى انتهى ترتيب كل شيء ثم جيء بالطعام الى آستي وكوكب ولم تلبثا ان وجدتا نفسيهما منفردتين في الغرفة وقد وقفتا تنظر كل منهما الى الاخرى

رفعت كوكب العود وقالت

ـ هل أضرب على العود الآن وأنادي.انظري يا أماه ها هي

نافذة تماثل النافذة التى تكلم عنها كيفر

فقالت آستى

- لم يحن الوقت بعد على ما أعتقد أيتها السيدة . هيا نتدبر فى الامر قبل أن نطلب مساعدة أحد

ماكادت آستى تفرغ من كلامها حتي فتح الباب ودخل الملك يانيس يرتدى ثيابه الملكية

وكان فى وسط هذه الغرفة العظيمة حوض من الماء العذب الرائق وكان يستخدم على ما يظهر لاستحمام الملكات اللائى كن يقطن فى هذه الغرفة من قبل . فوقفت كوكب وآستى فى ناحية من هذا الحوض ووقف الملك في الناحية الاخري فكان الماء حائلا بينهما وبينه

حني الملك رأسه لكوكب ثم قال

- بلغنى أيتها السيدة من خدمك أن اسمك نيفرت وانك من عذاري مصر ولما كنت لا اعرف اسمك الحقيقى فقد رضيت أن أدعوك بالاسم الذى اخترتيه لنفسك فأقول انني أتيت يانيفرت لاسألك المعذرة عما تعديته بلا ريب ذنبا عظيما اقترفته . لقد رأيت اليوم وجهك الجميل — ولا أدرى ان كان ذلك لسعادتى أو لشقائى — والآن لى رغبة واحدة وهى أن أراك مرة أخرى ثم أتمتع برؤيته كل أيام حياتى . لقد أصبحت عبداً لالهة الحب التي تسمونها فى مصر هاتور بحيث لم أعد أفكر فى شىء من

القوة أو الجاه أو الملك أو النساء بل فيك وحدك دون سواك . سوف لا أمسك باذى يانيفرت لانى أقدم لك من الآن نصف عرشي . وستكونين أنت دون سواك ملكة على البلاد . فماقولك؟

فقالت كوكب

ـ أية روح شريرة تلبستك أيها الملك يانيس حتى انك تريد أن تجعل فتاة مغنية ابنة تاجرة قدمت الى مدينتك — ملكة على بلادك ؟ دعني أذهب وأحفظ هذا المكان السامي لاحدى العظيمات في العالم . أرسل الى آبي الذى سمعت انه يحكم الآن على مصر واطلب الزواج باحدي بناته أو تزوج من احدى أميرات سوريا أو ارسل الى ملك بابل أو الى اشراف الحبشة ودع هذه الفتاة المغنية الفقيرة تذهب الى حيث شاء لها القدر

فكرر يانيس قولها قائلا

ـ ان هذه الفتاة المغنية الفقيرة التى لديها أو لدى امها — ثم حني آستى باحناء رأسه وابتسم لها — لآلىء تعادل دخل مملكة من أغني ممالك العالم ، هذه الفتاة المغنية التى توج رأس التمثال العاجى المرسوم على عودها بتاج مصر ، هذه الفتاة المغنية التى لايوجد جمالها الفتان بين بنات الملوك ، هذه الفتاة المغنية التى يسحر صوتها الشجي قلوب الرجال والوحوش ، هذه الفتاة هى أمنية حياتى ياتيفرت وهي كل ما أريد. انني اشكرك على نصحك لى ومع ذلك لازلت راضياً بنصيبي راجياً أن لا يستنكف أولادى

من دم فتاة مغنية مثلك طبعت تحت عنقها الشارة المقدسة التى تعبد في مصر .

فقالت كوكب ببرود

- لى الشرف أيها الملك . ولكن اعلم أن لى حبيباً بين شعبى الوضيع سأتزوج به دون غيره من الرجال

- لك حبيب ! اذن اخفي عني اسمه لئلا أمزق جسمه أربا . أراك تهزين رأسك عالمة بلا ريب أن الرجل عظيم ومع ذلك اعلمى انى سأتغلب عليه وامزق جسمه لا لجريمة غير انك تحبينه اصغي الىّ الآن ! أريد أن اجعلك ملكة على بلادى ولكن سواء كنت ملكة أو لست ملكة فانك ستكونين لى وأنت الآن تحت سلطتى . انني لا اكرهك على ذلك وسأعطيك وقتاً كافياً فاعلمى انك ان رفضت فى صباح اليوم الثالث من هذا المساء أن تشاطريني عرشى فاننى سأكرهك على الجلوس تحت قدمي

ثار غضب كوكب اذ ذاك فخلعت قناعها ونظرت اليه وجهاً لوجه وقالت

- انك تظن انني عظيمة وفي الواقع لم تخطىء فانى أينما ذهبت رافقتنى آلهتى. فدعني أيها الملك واطلق سراحى لئلا ارفع صوتي الى السماء فتصب آلهتى عليك جام غضبها

فتأوه الملك يانيس وقال

- آه لقد صببت علىّ يانينرت جام غضب هاتور الهة الحب

التى حدثتك عنها . أما بقية الآلهة فلا أخشى منها أحداً فلتفعل ما أرادت من الشر. والآن اقسم بانك ستكونين زوجتي في الليلة الثالثة من هذه الليلة سواء كنت ملكة أو جارية وهذه المرأة التى تدعينها امك شاهدة على يميني هذا وعلى نتيجة ماقلت

فقالت آستى

- نعم أيها الملك سأكون شاهدة على قسمك اما النهاية فلا أعرفها فهل تريد معرفتها ؟ انني نلت شهرة واسعة فى بلادى في أعمال السحر ولا أدرى كيف منحت هذه القوة فانني استطيع العمل تارة وأعجز تارة اخرى ومع ذلك سأجرب الآن . فهل يسرك أن تعرف نهاية ما أقسمت به أو بعبارة اخرى نهاية اكراه هذه العذراء على أن تكون زوجتك أو حبيبتك ؟

فقال يانيس الملك

- نعم أيتها المرأة . اذا كانت لديك حيلة فاريني اياها... لم لا؟

- ليكن ذلك أيها الملك . أنني بالطبع في حل من لومك اذا لم ترق الحيلة فى عينيك . قف الآن وانظر الى هذا الماء (الحوض) الى أن أفرغ من صلاتى لآلهتي وادعوها أن تتكرم فتريك ما ستكون عليه حالتك فى مثل هذه الساعة من الليلة الثالثة وهى التى تقول وترجو أن تكون ليلة عرسك . غنى يا ابنتى . غنى تلك الانشودة القديمة المقدسة التى علمتك اياها. وستجد فيها أيها الملك تسلية وتخفيفاً لآلام الانتظار حتى تعلن الالهة نفسها اذا شاءت

ثم ركعت آستى بجانب الحوض وطأطأت رأسها ورفعت يديها فوق الماء وأخذت كوكب تضرب على عودها وتغنى بهيبة وجلال بلغة مجهولة . وكانت نغماتها هادئة عذبة ومع ذلك أحس بها يانيس وهي تسقط كالثلج على دمه الساخن فتكاد تحوله الى جليد داخل عروقه . وكان الملك ينظر فى البداية الى وجه كوكب الجميل دون أن يحول عنها عينيه على انه لم يلبث ان شعر بقوة غريبة قد حولت عينيه من النظر الى وجهها الى النظر الى الماء

فماذا رأى ؟

رأي سحابة خيمت على وجه الماء لم تلبث ان انقشعت ورأى مكانها مرآة شاهد فيها صورته وهو ملق على الارض جثة عارية هامدة مثخنة بالجراح وعيناه محملقتان الى السماء وفى عنقه جرح بليغ يسيل منه الدم على أرض قاعته الواسعة وقد دمرتها النيران وبجانب جثته كلبه وقد رفع رأسه كأنه ينبح

فرغت كوكب من أنشودتها وعند فراغها تلاشت هذه الصورة فرفع يانيس عينيه الى آستى وصاح قائلا

- ايتها الساحرة ! لو لم تكونى فى ضيافتى ولو لم تدعى نفسك أما لتلك التى ستكون زوجتى لقتلتك الليلة تعذيبا جزاء حيلتك هذه الخبيثة

فقالت آستى

- أظن انك لا تستطيع قتلى أيها الملك لانه يجدر بالذين يدعون

الآلهة لتريهم المستقبل أن لاينازعوا خدامها .على انني لا اعرف ماذا رأيت وقد يكون ما شاهدته وهماً أو خيالا . اننا الآن فى حاجة الى النوم فاذهب الى فراشك أيها الملك ودع سر ما رأيت للمستقبل وسترى بعد ثلاثة أيام ماسيكون

فحول يانيس وجهه وغادر الغرفةدون أن ينطق بكلمة واحدة قالت كوكب لمربيتها

- ماذا رأي الملك في الماء يا أماه ؟ انى لم أر شيئا

فقطبت آستى جبينها وقالت

- صورة رجل ميت على ما اعتقد . لقد نظر الله غيور الى هذا الملك المسكين الذي لاجريمة له الا انه يحبك ويهواك وعليه لابد أن يلقى حتفه . ان الذين يحبونك يقعون دائما في الشر يا كوكب آمون . وانى أرى أحيانا هل سيكون حظ رجل أحبه أعظم من حظ اولئك الذين اصيبوا بنبال عينيك الساحرتين . وعندى لو مسه شر لاخذت أشعر ببغضك ولوانى ربيتك منذ نعومة أظفارك

اغرورقت عينا كوكب بالدموع عند ما فكرت بانها قد تسبب لحبيبها الموت كذلك وانحبس صوتها ثم أجهشت بالبكاء وقالت

- لاتنطقى بمثل هذه الكلمات المؤلمة يا أماه . انك تعلمين جيداً انى لوحرمت ممن أحتشم لاجله الان كل هذه الاخطار لاقتفيت أثره الى أطراف العالم . وفوق ذلك انك ظالمة يا أماه .

هل أنا التي قتلت الامير أماتيل ابن ملك الحبشة أو قتله شخص آخر ؟

- نعم قتله شخص آخر ولكن لأجلك أيتها الملكة

- هل كنت تريدين أن أتزوج آبي الخنزير القـذر قاتل أبى وقاتل زوجك ؟ ثم هـل أنا التى أريت منذ هنيهة ذاك الملاك الزنجى خيالا في الماء أو هي، آستي الساحرة، آستى كاهنة آمون ؟ وأخيراً هل سيموت هذا الرجل — اذا كان لابد أن يموت — لانه يحبنى وهو ذنب أغفره له اصفتى فتاة أو لانه يريد أن يكرهنى على أن أكون زوجته وهومالا أغفره له ؟ كفى ياآستى. انك تعلمين جيداً انني لست كثيرى من الفتيات . نعم قد يكون هناك دم غـير بشري يجرى فى عروقي ولـكننى على الاقل أنفذ حكما قضى به علىّ قبل مولدى . وسأسير فى الطريق التى تقودنى اليها الاشباح والالهة مهما فعلت من ضروب السوء والشر . فلماذا تعنفيننى اذن ؟

ثم أمسكت عن الكلام وبكت ؟

فضمتها آستى الى صدرها وقالت :

- كلا . كلا . هدئى روعك يا ابنتى . اننى لم أعنفك . من أنا حتى أستطيع أن أوجه سهام اللوم الى كوكب آمون وابنته وملكتي ؟ اننى أعرف جيداً أن بيت مصـيرك قد تم تشييده ولا بد أن تجتازي بابه سواء أبحرت شمالا أو جنوباً . ان خوفى

على رامس هو الذى حماني على أن أتكلم بمثل هـذه اللهجة الشـديدة ، رامس ولدي الوحيـد الذي لا أستطيع على رغم تضلعي فى فنون السحر أن أعلم سواء من رجل أو من روح هل لا يزال على قيد الحياة أو انضم الي أحضان أوزوريس اذ أرى حجابا كثيفا قـد حال بيني وبينه . انني أخشى يا كوكب أن يكون أحد الآلهـة قد صب عليـه جام غضبه لغيرته على حبك فأورده حتفه وأسكنه رمسه قبل أوانه . ان مجرد هذه الفكرة تفتت قلبي وتلهب فؤادى

أخذت كوكب اذ ذاك تهـدىء روعها هى أيضاً فقالت :

ـ لاريب انك قـد نسيت يا أماه وعد آمون ملك الآلهـة الذى قطعه على نفسه قبل ولادتي لامي أهورا وهو انني سأجد حبيباً من سـلالة الملوك وانني سألد من هذا الحبيب كثيراً من الملوك والامراء . واذا كان الامر كذلك فلا بد أن يعيش رامس

ـ لماذا يجب أن يعيش أيتها الملكة ؟ انه وان كان في الواقع من سلالة الملوك فان هناك كثيرين غيره من الامراء والملوك

فتمنت كوكب وقد ألقت راسها على صدر مربيتها وقالت

ـ كلا يا أماه . ليس هناك آخرون . لن ألد طفلا لايدعو رامس أبا له ومهما كنت مرتابة فى الامور الاخرى فاياك أن تثقي بذلك . . . ان رامس حي وسيعيش والا كان آمون أبو الآلهة كذابا .

فقبلتها آستى وقالت :

ـ انك قوية المحبة يا كوكب

ثم فكرت هنيهة وقالت :

ـ هيا الآن الى عملنا . لقد حانت الساعة . خذي العود واذهبي الى النافذة ونادي كما أمرك الشحاذ أن تفعلي فى وقت الحاجة

فذهبت كوكب الى النافذة وأطلت على الفناء الواسع تحت النافذة وكان مضاءاً بنور القمر ثم ضربت على العود وصاحت ثلاثاً قائلة

كيفر ! كيفر ! كيفر !

وكان صدي صوتها يزداد شدة فى كل مرة حتى خيل اليها ان السماء والارض امتلأتا باسم كيفر

الفصل السادس عشر

كيفر والملك يانيس

بعد ظهر اليوم الثالث كانت كوكب وآستى تطلان من نافذة سجنهما الفاخر على الرحبة الواسعة التي خلف القصر حيث اعتاد الملك يانيس فى مثل هذه الساعة الجلوس في الظل ليسظر فى قضايا رعاياه. وكانتا قلقتين لان المهلة التي أعطاها لهما الملك كادت تنقضي

قالت كوكب :

- ان الليل أخذ يقترب ومعه سيأتي يانيس. أنظرى يا أماه كيف يرمق هذه النافذة كاسد أضره الجوع ينتظر طعامه. لم نر اثراً لكيفر ولكن ربما كان شحاداً متجولا ذا أوهام غريبة أو ربما قضى نحبه لانه رجل طاعن في السن. انه لم يظهر علامة ولم يحر آمون جواباً على رغم توسلاتى وصلاتي الحارة. انني صرت نسياً منسياً. انني فتاة منبوذة مهجورة. اخبريني ماذا أفعل وكيف الخلاص يا أماه؟ ارشديني بحكمتك

فقالت آستي :

- ثقي بالالهة يا ابنتى. ان الشمس لاتغرب قبل مضى ثلاث

ساعات تستطيع الالهة فيها أن تهدم الارض وتبنيها مرة أخري تذكري أيام حانينا آلام الجوع فى البرج فى ممفيس وما أصابنا هناك . تذكرى سقوطنا الى النهر وسفينة « رع » وتذكرى الذين كانوا يقودونها . تذكرى كل ذلك يا ابنتى وثقى بالالهة

- اننى أثق بها يا آستى ولكن ... مع ذلك ... آه ! لنخض فى حديث غير هذا . . . لا أدري ماذا حدث في ممفيس بعد أن غادرناها بمثل هذه الطريقة الغريبة ؟ هل تظنين أن « روحى » لاتزال ملكة هناك مع آبي زوجها ؟ اذا كان الامر كذلك فانى آسفة على آبى لان فى عينيها شيئا أثلج دمي في عروقي ومع ذلك تقولين انها جزء مني ، روح لاتموت صورت على صورتى واعطيت لى يوم ولادتي . كم أود أن تكون لى روح أخرى تستطيعين اخراجها الآن يا آستى لتسحري هذا الملك وتلهيه عنا حتى نتمكن من الهرب . انظري ان القضية التى ينظرها الملك الآن كادت تنتهي لانى أراه يهمس في اذن وزيره ليعجل باصدار الحكم . أن أفكار يانيس متجهة كلها الى هنا وأكاد اشعر بان عينيه تحرقانى من بين هذا الستار . لقد أوشك على القيام . آه من أبى ؟ استيقظي يا أماه وانظري

اذعنت آستى للامر فرأت عند باب الفناء رجلا طويلا بلحية بيضاء أصفر اللون طاعنا في السن يرتدى لباسا رثا يرتكز على عكازه ينظر فى حوله كانه لايرى شيئاً . وقدجاء رجال الحرس

يطردونه فرفع عكازه فارتدوا الى الوراء كأن في عكازه هذا سرا مجهولا . والظاهر أن عينيه اللتين أشبهتا عيني السلحفاة قد وقعتا على العرش اللامع وعلى الجالس فوقه فمشى بخطوات واسعة الى العرش ووقف أمامه ثم ارتكز على عكازه ثانية

فقال الملك بغضب

ـ من هذا الرجل الذي وقف هنا دون أن يقدم الى الملك فروض الاحترام ؟

فقال كيفر

ـ هل أنت ملك ؟ انني قصير النظر جدا . لقد زعمت انك رجلا مثلي من الشعب فقط تمتاز عني بلباسك هذا اللامع . اخبرني كيف يكون الملوك ؟ هل لا تزال لك آمال وتتألم وتخاف الموت كغيرك من الرجال ؟ هل يشبه لحمك الذي تحت ثيابك المزركشة لحمي الذي تحت ثيابي هذه الرثة البالية ؟ هل تؤلمك الذكريات القديمة ، ذكريات الموتى الذين لن يعودوا ؟ وهل تشعر بالاحزان وآلام الفشل والخيبة ؟

فقال الملك بغضب

ـ هل جلست هنا لأحل لك الغازا أيها الاحمق . خذوه خارجا . أن لدى أعمالا

فهجم رجال الحرس لينفذوا أمر الملك ولكن كيفر رفع عكازه في وجوههم فارتدوا ثانية الى الوراء ثم تحول نحو الملك وقال

- تقول لديك أعمال أيها الملك ؟ اظن انها لا تتعلق بالبلاد بل بشخص يقطن فى هذا القصر — ثم أشار الى الغرفة التى كانت تراقبه كوكب من نافذتها — حسن . لاتزال هناك ثلاث ساعات على غروب الشمس وعليه لديك وقت كاف لتصغى الى حديثى وهو مالا بد ان تفعل لان حديثي معك يتعلق بتلك السيدة التى تقول أن لديك معها أعمالا

فقال الملك وقد ثار غضبه

- من أين علمت بالسيدة أيها الشيخ المرذول وعلاقتي بها ؟

- انى اعلم شيئاً كثيراً عنها أيها الملك لانها ابنتى . . . هل اخبرك بالباق ؟

فقاطعه يانيس قائلا

- هل أنت أبوها أيها الشيخ الكذاب ؟

- نعم أنا أبوها وقد جئت لاقول لك ان دمنا أقدم من دمك واننا أعظم منك حسباً ونسباً فلا ارضاك زوجا لابنتى ولا هى أيضا ترضاك زوجا لها

فاغرق بعض الذين سمعوا قوله من رجال الملك فى الضحك أما يانيس فقد ابيض وجهه الاسمر غضبا ثم أخذ صدره يعلو وينخفض وأخيراً صاح قائلا :

- اطرحوا هذا المجنون ارضاً واجذبوه خارجا واقطعوا لسانه

فهجم رجال الحرس عليه مرة أخرى ولكن قبل أن يقتربوا منه كان كيفر قد بدأ يتكلم بصوت مروع فلم يجرأ أحد على الدنو منه

قال كيفر

- احذروا يارجال تات أن تضعوا أصبعاً واحداً عليّ لانكم لاتعرفون من يرتدي هذه الخرق البالية . وانت يا يانيس يامن تدعو نفسك ملكا اصغ الى أوامر ملك أعظم منك عرشه هناك فوق الشمس . اطلق سراح تلك العذراء التي تريد اغتصابها قبل غروب الشمس ودعها هي ورفيقتها واعطهما كل بضائعهما وارسلهما الى ابواب مدينتك الجنوبية واتركهما ولا تمسهما بسوء . هذا أمر ملك الملوك الذى يقطن عالياً في السماء

فقال يانيس

- وماذا يجرى اذا سخرت من أمر هذا الملك ؟

فاجاب كيفر

- لاتسخر منه ايها الملك . تذكر الصورة التى أرتك اياها السيدة آستي فى الماء ولا تسخر

- انها كانت حيلة مصرية ايها الساحر ، حيلة كانت لك يد فيها اذهب من أمامى . فاني أنكرك وانكر سحرك وملكك . ستكون تلك العذراء زوجتي هذه الليلة

- اذن اسمع يا يانيس ملك تات الحكم الذى أرسلت لابلغك اياه . ستتزوج في هذه الايلة بعروس أخرى هى الموت وسيرت افقك

الى الظلمة كثير من شعبك بسبب خطاياهم ومطامعهم الشريرة ولانهم رفضوا عبادة الالهة . وسيحكم غداً ملك آخر من غير بيتك على مدينة تات

أمسك كيفر عن الكلام ثم تحوّل وسار ببطء في فناء القصر واجتاز الابواب دون أن يجرأ أحد على أن يرفع أصبعاً واحداً في وجهه اذ خيل اليهم أن حول هذا الرجل جلالا وهيبة لايدركهما أحد

صاح الملك بعد أن افاق من غفلته وقال

ـ ارجموا هذا الساحر واقتلوه هنا أمامي

فهرع رجال الحرس كالأسود لينفذوا أمر الملك على انهم لم يجدوه ولم يروا له أثرا . فقالت امرأة انها رأته هنا وقال صبي انه رآه هناك . وقال بعض العبيد انهم رأوه في ذاك المكان فاضطربوا وخافوا اذ لم يروا له خيالا وأخيراً اقتفوا أثره الى الباب الجنوبى فقال رجال الحرس هناك انهم رأوا مثل هذا الشحاذ ماشياً عند ماشرعوا فى قفل الباب وقد توارى داخل زوبعة من الرمال كانت تهب فى الخارج . فسار الرجال الى تلك الناحية ولكن كانت الرمال تهب شديدة بحيث لم يلبثوا أن ضل كل واحد منهم عن رفيقه أثناء بحثهم عنه ثم عادوا قبيل الغروب فرادي الى القصر حيث أمر الملك وقد ثار غضبه بجلدهم

غربت الشمس وجاء الظلام فذهب الملك يا نيس فى الساعة

المعينة وقد شدد عزيمته الى الغرفة التى كانت فيها كوكب وآسي وترك حرسه من الخصيان عند الباب . وكانت المصابيح مضاءة داخل القاعة والنوافذ مغلقة ولكن كانت رياح الصحراء تهب في الخارج بشدة والجو مملوء بالأتربة

وقفت كوكب وآسى في الناحية الاخرى من الحوض كالمرة السابقة فقال الملك

هذه هي الساعة المعينة ايتها السيدة وقد جئت لاقف على جوابك

فقالت كوكب

ـ اصغ الىّ أيها الملك لمصاحتك لا لمصلحتى . انى أعظم مما تظن . أن لدى اصدقاء في الارض والجو وقد زارك واحدهم اليوم فى فناء القصر . خل عنك أيها الملك هذا الجنون وثب الى رشدك واطلق سراحى لانني أريد لك الخير لا الشر . واعلم انك ان وضعت أصبعاً واحداً علىّ جررت الشر على رأسك أو قتلت أنا نفسى بيدى

فقال يانيس ببرود

ـ كفي تهديد ايتها السيدة ... انى في انتظار جوابك

فقالت كوكب

ـ انني أسديك النصح لآخر مرة أيها الملك . انك تزعم اننى أتساح بالكذب لانقذ نفسى ولكن ليس الامر ما تزعم . اننى

اريه انقاذك انت انظر الآن — ثم نزعت قناعها ونتحت ماغطى صدرها من الثياب — انظر الى هذا الوشم الذى طبع على صدرى وفكر فيما اذا كان من الصواب أن تعتدى على فتاة تحمل هذا الرمز المقدس ؟

فقال يانيس بصوت مبحوح وقد جن عند رؤية جمالها الفتان

- لقد سمعت عن مثل هذا الرمز فهم يقولون ان صاحبته ولدت فى مدينة طيبة من أب غريب . ولكن اذا كان الامر كذلك كيف جاءت الى هنا ؟ اننى اعلم انها تملك الان على مصر

- الق هذا السؤال على عرافيك أيها الملك ولكن اعلم ان الاشاعة لا تكذب دائما . دع ابنة هذا الاب الغريب تذهب الى سبيلها

- ان هناك رجلا آخر يدعى انه أبوك أيتها السيدة كنت أود أن يجلده جنودى حتى يموت وهو رجل شحاذ بخرق قذرة بالية

فتكلمت آستى لأول مرة قائلة

- رجل لا يستطيع جنودك مسه أو العثور عليه

فاستطرد يانيس فى كلامه دون أن يعيرها اهتماما وقال

- حسن . اعلمى انه سواء كان أبوك شحاذا أو الها وانه لو كنت أنت هاتور نفسها نزلت من عليائها لتورد الناس كأس الردى — فلا بد لى أن أحظى بك . اجيبي للمرة الثالثة هل تريدين أن تكوني ملكة على بلادي باختيارك او هل لابد لى أن ادعو

نسائي ليغرقن هذه الساحرة التي بجانبك فى الماء ويجذبنك خارجا ؟

فلم تحر كوكب جواباً ثم أسدلت قناعها ووضعت ذراعيها على صدرها وانتظرت . أما آستى فسخرت منـه وهزأت به وقالت بصوت عال لـكي يسمعه لان صوت الزوبعة كان يدوى فى الخارج :

ـ أدع نساءك أيها الملك لان الجو مملوء بالرمال التى تحبس صوتى . انى مشتاقة الى المياه التى وعدتنى بها

فتحول يانيس وكان يغلى كالمرجل وصاح قائلا

ـ تعالن أيتها الجواري وافعلن ما أمرتكنّ به

ما كاد الملك يفرغ من كلامه حتى فتح الباب على مصراعيه فجأةودخل كيفر الشحاذ .ولم يكن لابساً خرقه البالية بل كان يرتدي لباساً أبيض يتبعه رجال شاهرين السيوف الملطخة بالدماء وكانوا كالوحوش بأعين مستديرة ووجوه سوداء ولحى طويلة وسلاسل ذهبية ترن على دروعهم وهم من قواد الصحراء الذين لا يعرفون معنى الخوف أو الرحمة

نظر اليهم يانيس وأدرك غايتهم فسل سيفه ثم وقف هنيهة وهو لا يدرى ماذا يفعل فى حين أحدق به الرجال العظام والتفوا حوله وانتظروا وهم ينظرون الى كيفر

قالت كوكب :

ـ لا تقتله يا أبتى واصفح عنه اذا شئت لان الحب قد سحر

قلبه وفتن لبه

فقال كيفر بهيبة وجلال :

- لقد سبق السيف العذل يا ابنتى . ان الذين لا يقبلون انذار الآلهة يجب أن يتحملوا انتقام الآلهة . اعلم ياياتيس يامن أردت اغتصاب امرأة ضعيفة ان قصرك الآن يحترق ومدينتك في قبضة يدي وقد قتل القليلون الذين كانوا حولك . غداً يجلس مكانك ملك آخر فقد قضى آمون عليك بالموت

فردّد يانيس صدى قوله قائلا :

- نعم لقد سبق السيف العذل . ان البشر لا يستطيعون محاربة الآلهة . لقد شاء أحد الآلهة أن أحب وشاء الآخر أن أموت . ليكن ذلك . يسرنى أن أمرت . لقد ولدت لاعرف الاحزان والموت . أخبرني أيها النبي أية قوة شريرة قضت أن نولد ونتألم ؟

فأشار كيفر الى كوكب وآستى فتبعتاه وتركتا يانيس فى وسط هؤلاء الرجال الغلاظ

نادى يانيس كوكب قبل أن تغادر الغرفة قائلا :

- الوداع أيتها السيدة . تذكرى الآن وفيما بعد يانيس ملك تات ولا تنسى أنه فضل الموت على الحياة لاجلك

وهكذا ذهبتا دون أن ترياه مرة أخرى

اجتازت كوكب وآستى وكيفر باب القاعة وكان حوله جثث

القتلى من رجال الحرس والخصيان . ثم نزلوا من السلم واجتازوا الابواب الخارجية حيث وجدوا قتلى آخرين من الجنود . ثم نظروا خلفهم فوجدوا القصر شعلة من نار

وصلت كوكب ومربيتها الى الرحبة الواقعة أمام القصر فوجدتا بعض العبيد فى انتظارهما فأمرهم كيفر أن يحملوا السيدتين على نقالة فحملوهما على الاعناق وساروا بهما الى حيث لا تعلمان

بات الرجال طول الليل سائرين بهما الى أن طلع النهار فنزلت كوكب وآستى من النقالة فوجدتا نفسيهما في واحة وسط الصحراء يحيط بهما جيش جرار من رجال البادية . ولم تريا شيئاً من مدينة تات وهكذا مرت كحلم من الاحلام فلم تسمعا شيئاً عنها أو عن ملكها . وقد وجدتا فى الخيمة التى ضربت لهما لآلئهما وذهبهما وعود كوكب المصنوع من العاج .

وكان التعب قد أخذ منهما مأخذاً عظيما فنامتا داخل الخيمة نوماً عميقاً ولم تستيقظا الا في الصباح فقامتا وأكلتا مما كان لديهما من الطعام ثم خرجتا فوجدتا كيفر واقفاً في ظل بعض أشجار النخيل ينتظر قدومهما وكان معه بعض رجال أشداء من رؤساء قبائل الصحراء فحنوا رؤوسهم لهما اكراماً واجلالا .

خاطبهما كيفر قائلا :

ـ اصغى الىّ أيها السيدة نيفرت وأنت أيتها السيدة آستى رفيقتها . لقد انتهت مهمتى ولابد لي من الذهاب لان البلاد التى

أتسول فيها بعيدة من هنا ومع ذلك لاتخافا لان هؤلاء الرؤساء موكلون بخدمتكما ولهـذا السبب ولدوا وسيساعدونكما أثناء الطريق

ثم خاطب الرؤساء قائلا :

- كرروا الاوامر التي القيتها عليكم

فقال كبيرهم :

- هذه أوامرك أيها الرحالة الذي يعرفه آباء أجدادنا وحامي شعبنا الذي بفضله نعيش ونحي . لقد أمرتنا بمرافقة هذه السيدة ورفيقتها فى سفرة تستغرق أشهراً طويلة فى الصحراء والجبال الى أن نصل بهما الى أبواب « مدينـة الذهب » حيث تنتهى مهمتنا . وسنطيع أمرهما مادام فينا رجل واحد على قيد الحياة

تحوّل كيفر اذ ذاك نحو كوكب وقال :

- لقد سمعت . ثقي بهؤلاء الرجال . سيروا في سلام أثناء النهار وناموا فى أمان أثناء الليل . ثقى باخلاصهم يانيفرت واذا مسك أذى أو لقيت مشقة اضربى على عودك ونادى الاسم الذى تعرفينه كما ناديت في غرفة يانيس المجنون يأت الى مساعدتك شخص . وأنتم أيها الابطال سكان الصحاري والقفار الذين أعرف آباء أجدادكم ، أنتم يامن تعيشون بفضل حكمتي اعلموا ان هذه السيدة المقدسة في كنفكم وحمايتكم فاسهروا على حمايتها وراحتها واذا مافرغتم من سفركم عودوا الىّ وقدموا تقريركم... الى الملتقى

ثم رفع عكازه دون أن ينطق بكلمــة واحدة لـكوكب أو لا ستي وسار من بين رجال الصحارى فنزلوا عن ظهور دوابهم وسجدوا له وحيوه ولم يلبثوا أن رأوه واقفاً على ربوة عالية ينظر اليهم ثم اختفى عن الانظار

قالت آستي بعد أختفاء كيفر :

ـ من هــذا الرجل أيها القائد الذي تخضع له جميع قبائل الصحراء وملوكها ؟

فأجابها القائد قائلا :

ـ لا أستطيع أن أخبرك شيئاً أيتها السيدة غير انه ســيد الصحراء ومن يسكن فيها و بأمره تثور زوابع الرمال كما ثارت أمس لتخفى أثر سيرنا وبأمره تنبع المياه وبارادته تزداد القبائل عظمة وجاهاً أو تضمحل . من المحتمل آنه روح يتحرك أينما شاء وينفذ أوامر السماء . ومع أن سكان الصحراء لايرونه الا قليلا فانهم يهابونه ويطيعون أوامره كما نفعل نحن الآن والويل كل الويل لسكان المدن الذين يحتقرون تلك القوة العظيمة الكامنة تحت خرقه البالية

فقالت آستي :

ـ أشكرك أيها الصديق . انى أظن مثلك أن هذا الرحالة روح عظيم لا أستطيع ذكر اسمه . . . ان سيدتى متأهبة أيها القواد للسفر الى « مدينة الذهب » التى ستسيرون بنا اليها

***

سارت القافلة يوماً بعد يوم وأسبوعاً بعد أسبوع وشهراً بعدشهر جنوباً وغرباً فى الصحاري والقفار وكانت كوكب وآستي تسيران فى وسط جيشهما على ظهور الجمال وهما مقنعتان . وأغار عليهم بعض سكان التلال مرة من كمين فى جبل وعر ولكنهم ردوا على الاعقاب . وسمعت احدى قبائل الصحراء بأن بينهم الهة فحاولوا أسرها لانفسهم فدارت بين الفريقين معركة حامية ولما اشتد وطيس القتال ورأت كوكب أن العدو لاتزال ثابتاً فى وجه رجالها ركبت فى طليعة جنودها وحملت على الاعداء . فلما وقع نظرهم عليها وهي ترتدي ملابسها البيضاء فروا من وجهها دون أن يلووا على شئ . ونزلوا أثناء الطريق مرة في احدى الواحات مدة شهرين كاملين وانتظروا حتى نزلت الامطار وملأت الآبار التى لاتزال فى طريقهم وأخيراً استأنفوا السفر وجدوا السير يوماً بعد يوم الى أن ضربوا خيامهم ذات ليلة فوق أحد التلال

خرجت كوكب وآستى عند طلوع الفجر من خيمتهما فشاهدتا تحت التل نهراً عظيما هو نهر النيل ورأتا بجانبه اهرامات نابانا وهيا كلها وهي مدينة آمون الجنوبية فشكرتا الآلهة التي جاءت بهما الى هذه المدينة فى أمان وسلام

وبينما كانتا لاتزالان تنظران الى بهاء المدينة على نور الشمس

المشرقة جاء قائد رجال الصحراء وحنى رأسه أمامهما ثم قال :

- لقد قمنا أيتها السيدة المقدسة بالمهمة التي وضعها على كاهلنا كيفر ملك الصحراء القديم . ها أمامك مدينة ناباتا التي قضينا في الوصول اليها هذه الاشهر الطويلة الشاقة . اعلمي اننا لانستطيع الاقتراب خطوة واحدة من أسوارها اذ أقسمنا من جيل الى جيل أن لا ندخل مدينة من المدن الا في حرب . لقد انقضت مهمتنا أيتها السيدة وأخذ رجالنا يتذمرون لانهم يريدون العودة الى أرضهم حيث ينتظرهم أولادهم ونساؤهم قبل أن يزعم أهل ناباتا أننا أعداء فيأتون لمحاربتنا

فقالت كوكب :

- حسن . انني أشكركم وستجازيكم الآلهة على حسن صنيعكم دعونا وعودوا أنتم الى بلادكم ولكن قبل أن تعودوا أقبلوا هدية مني

ثم أرسلت في طلب الذهب الذي جمعته هي وآستي من مدينة تات وأعطتهم اياه ليقتسموه بينهم وكان كنزاً عظيماً غالياً ولم تحتفظ بغير اللآلئ وشئ قليل من الذهب. فحياها القواد وساروا مع رجالهم في الحال ولم يلبثوا ان اختفوا عن الانظار وسط ستار من الغبار

راقبتهم كوكب وآستي من فوق دابتيهما وهم سائرون كحلم من أحلام الليل . ولما تواروا عن الانظار التفت كل منهما بردائها

الاسود وسارتا بجانب النهر فى الطريق المؤدية الى أسوار مدينة ناباتا واختلطتا بغيرهما من المسافرين فاجتازتا ساحة الاهرامات ثم وصلتا الى الباب الشمالى البديع المغشي بالذهب وانتظرتا لان هذا الباب لم يكن قد فتح بعد

جاءت احدي النساء وكانت تقود ثلاث دواب تحمل شعيراً أخضر وخضروات لتبيعها في سوق المدينة ففتحت معها باب الحديث فسألتها عن بلادهما فقالت آستى

ـ جئنا من مدينة ميرو (مدينة قريبة من ناباتا في بلاد الحبشة) ونحن من المشتغلات بالغناء وتجارة اللآلىء

فقالت المرأة

ـ اذن لقد جئتما الى المكان الذي يجب الاتجار فيه لان اللآلىء نادرة فى ناباتا لبعدها عن البحر . ويقال أيضا ان الملك الشاب يحب الغناء اذا كان حسناً

فقالت آستى

ـ الملك الشاب ؟ ما اسمه وماذا أصاب الملك القديم

فقالت المرأة بارتياب

ـ انكما لم تقضيا مدة طويلة في «ميرو» اذ أراكما لا تعلمان ان الملك القديم ذهب الآن الى احضان اوزوريس وراء ذلك الهرم حيث دفنه نائد فرعون مصر الذى يحكم الآن على المدينة بعد المعركة العظيمة التى دارت رحاها بينهما . يالها من قصة غريبة

ولكنى لا أعلم حقائقها لانى أبيع بضاعتي ولاا كترث بمثل هذه الاشياء . على انه حدث أن هذا القائد جاء وقت فيضان النيل الذى سبق الفيضان الاخير ومعه ثلاثة آلاف جندى من المصريين وجنة الامير أماتيل بن الملك الذى قتله غيرة على ماسكة مصر التي كان كل منهما يريد الزواج بها . وقد قالوا أن تلك الملكة أمرت أن يقدم القائد نفسه الى ملك ناباتا ليحا كمه على جريمته ففعل القائد ذلك بيد أن الملك ثار غضبه فأمر بشنقه على سارية سفينة آمون المقدسة فأجاب القائد انه متأهب للشنق اذا استطاع الملك أن يضع عليه يده . وهكذا نشبت حرب شعواء بين سكان ناباتا والمصريين الذين ساعدهم عدد عظيم من جنود المدينة الذين كانوا يمقتون ملكهم فثاروا في وجهه لقسوته . وقد انتهت الحرب بفوز المصريين والثوار . ولما كان الملك قد خر قتيلا فى ساحة الوغى فقد توجوا القائد المصرى ملكا على البلاد . اما اسمه... آه لقد نسيت . أن له اسماء كثيرة على انه رجل جميل الطلعة يحبه الجميع . . . انظرا لقد فتح الباب . . . الى الملتقي

ثم جرت المرأة دوابها واختفت بين الجماهير

اختلطت كوكب وآستي كذلك بالجماهير وسارتا فى شارع واسع الى أن وصلتا الى ميدان غرست الاشجار حوله وشيد على أحد جانبيه قصر فخم

نزلت كوكب وآستي عن دابتيهما فى هذا المكان وهما لا تعلمان

الى أين تذهبان. وفيما هما مترددتان فتحت أبواب القصر وخرجت منه كوكبة من الفرسان المدججين بالسلاح

همست آستى فى اذن كوكب وقالت

ـ انظرى ما كتب على دروعهم

نظرت كوكب فماذا قرأت ؟ قرأت اسمها منقوشاً على الدروع تليه القاب جديدة — ملكة الاراضى العليا والسفلى وفاتحة أبواب الجنوب وملكة ناباتا المقدسة بفضل آمون أبي الآلهة — فتمتمت قائلة

ـ يظهر أن لى رعايا هنا

ثم أمسكت عن الكلام اذ رأت رجلا يمتطي صهوة جواد جميل خيل اليها انها تعرفه على رغم المسافة البعيدة التى كانت بينهما

قالت كوكب متلعثمة

ـ من هذا ؟

فقالت آستى وقد أمسكت بعنان دابتها

ـ أن قلبى يحدثنى بانه رامس ولدى

الفصل السابع عشر

لقاء الحبيبين

كان هذا الشخص رامس بعينه ، رامس وقد ارتسمت على وجهه علامات البؤس والحزن ، رامس دون غيره من الرجال ماجت أعينهما واضطربت قلوبهما عند رؤيته فقالت آسني

- قولى هل نعلن انفسنا ؟

أجابت كوكب

- كلا . ليس فى هذا المكان ولا الآن . انه لايصدق قولنا ناهيك باننا لانستطيع أن نسفر عن وجوهنا أمام كل هؤلاء الرجال ثم اريد أن اقف أولا على كل أخباره فدعيه الآن يمر

سار رامس وهو متطى صهوة جواده الى أن صار مقابل المكان الذى جلست فيه المرأتان فوق دابتيهما تحت الشجرة فاحس بشىء قدحول نظره نحوهما فنظر اليهما أولا بدون اكتراث وسار فى طريقه ثم نظر ثانية وحول رأسه مرة أخرى ولكن ببطء ثم نظر للمرة الثالثة على انه في هذه المرة بقيت عيناه شاخصتين الى المرأتين المقنعتين الجالستين تحت الشجرة ثم لوى عنان جواده

كانه يعمل تحت تأثير ما وسار نحوهما . ولما وصل اليهما قال :

ـ من أنتما أيتها السيدتان ؟

فحنت كوكب رأسها لكي يستر قناعها شكلها وأجابت آستى بصوت مصطنع قائله :

ـ اننا تاجرتان ياسيدي واحدانا تضرب على العودوتغني . وقد سرنا فى النيل الى «مدينة الذهب» لاننا علمنا أن اللآلئ نادرة فى ناباتا وعلمنا أيضاً أن ملك هذه المدينة الجديد يحب الغناء الجميل .وقد تعلمت رفيقتى الضرب على العود والغناء في مصر في مدينة طيبة المقدسة ولكن من أنت ياسيدى حتى تسألنا هذه الاسئلة ؟

فقال رامس :

ـ انى مصرى أيتها السيدة أحكم هذه المدينة من قبل ملكة مصر التى كنت أعرفها مرة.وربما يجدر بى أن أقول انني أحكم هذه المدينة بالنيابة عن فرعون مصر لان جواسيسي أبلغوني أن كوكب آمون تزوجت آبى أمير ممفيس ولو أنهم قالوا أنه وجدها زوجة مستبدة

ثم ضحك ضحكة مرة

فقالت آستى :

ـ لقد مضى علينا وقت طويل منذ غادرنا مدينة طيبة المقدسة

ولا نعرف من أخبارها شيئا اذ ليس لنا هم غير التنقل من مدينة الى مدينة للاتجار . واذا كنت يا سيدى حاكم هذه المدينة فانا نتوسل اليك بصفتنا من فلاحات بلادك أن ترشدنا عن مكان نبيت فيه فى سلام . ثم أسمح لنا أن نعرض أمامك لآلئنا بعد ظهر اليوم وبعد ذلك سواء اشتريت منها شيئا أو رفضت اسمح لرفيقتى هذه أن تغني لك بعض الأغانى المصرية القديمة

فقال رامس

- انني أيتها السيدتان جندي أؤثر شراء السيوف على اللآلىء ثم اعلما انى رجل أقطن وحدى وليس فى منزلى خيال امرأة . على انني سأجيب طلبكما لانكما من مواطني أو لسبب ما لا أدرى وحق المعبود آمون ماهو ؟ سأذهب الآن لأدرب هذه الفصيلة على الحركات العسكرية وعليكما أن تأتيا الى قصرى قبل غروب الشمس لأرى بضاعتكما واسمع غناءكما . أما الآن فالي الملتقى

ثم نادى أحد الضباط وكان واقفاً خلفه وعلى مسافة قريبة منه قائلا

- رافق هاتين السيدتين المصريتين الي احدى الغرف الخاصة بالضيوف حيث تمكثان فى أمان وسلام وفى المساء قدمهما الي

ثم سار رامس وعيناه لاتفتآن تنظران اليهما وبعد ذهابه رافقهما الضابط الى القصر

***

حان وقت الغروب فارتدت كوكب ثوبا أبيض جميلا مزركشا بخيوط ذهبية ثم جلست تنتظر المثول بين يدى رامس حبيبها وشعرها الاسود الطويل مسترسلا على كتفيها وعلى صدرها عقد كبير من اللآلىء وعلى وجهها قناع كثيف وفى يدها عودها المصنوع من العاج والذهب . وكذا انتظرت آستى أمه وكانت ترتدى ثوبا أسود وعلى رأسها قناع أسود

لم تمض مدة وجيزة حتى جاءهما الضابط الذي رافقهما الى القصر وسألهما هل هما متأهبتان لمقابلة والى نابانا

فقالت آستى

- والى ؟ ظننت انه الملك

أجابها الضابط

- انه ملك المدينة أيتها السيدة ولكنه أراد أن يطلق على نفسه اسم والى كوكب الصباح ، ابنة آمون وزوجة آبى المغتصب الذي يحكم الآن في مصر . وهى فكرة جنونية مع أنه يستطيع أن يجعل نفسه فرعون مصر على حسابه . ولكن هكذا أراد

فقالت آستى

- حسن ياسيدى . ليس لنا نحن التجار أن نخوض في شئون عظيمة كهذه . تقدمنا الى هذا الملك أو القائد أو الوالى لعلنا نستطيع أن نربح منه شيئا

فتقدمهما الضابط الى باب جانبي فى القصر واجتاز معهما ممرات عديدة وقاعات مختلفة عرفت كوكب فيها بعض الضباط الذين أمرتهم بمرافقة رامس الى أن وصل بهما الى قاعة ليست كبيرة حيث أمرهما بالجلوس. وبعد هنيهة فتح الباب ودخل رامس يرتدى بذلة قائد مصري خاليـة من الشارات الخارجية التي يرتديها الملوك. بيد انه كان يلبس فى يده اليمنى التى بتر خنصرها الخاتم الملوكي الذي أهـدته اياه كوكب يوم سثره . وكان برفقته بعض القواد وكان يحادثهم فى بعض المسائل العسكرية

ولما وقع نظر رامس على السيدتين حياهما باحناء رأسه واعتذر لهما عن تأخيره ثم قال

ـ ماذا تريدان عرضه عليّ أيتها السيدتان ؟ آه ! لقد تذكرت لآلىء غالية . حسن . أخشى أن تـكونا قد جئتما بكنزكما الثمين الى سـوق كاسدة لانه اذا كانت ناباتا تسمي مدينة الذهب فانها تريد أن تحتفظ بجميع ثروتها ولا يصيبني منها غير مرتب قائد ومبلغ بسيط للاتفاق على بيتى . ومع ذلك أرياني مامعكما فاذالم اشتر شيئاً بحثت لـكما عمن يشترى

وقع نظر آستى أمه وكوكب حبيبته على وجهه الجميل وسمعتا كلماته البسيطة ندق فابا هما بشـدة عظيمة بحيث مكثتا لحظـة لاتستطيعان التكلم . ولا عجب فقـد فرحتا فرحا عظيما تجلى على

وجهيهما المقنعين . ولكن رامس لم يلاحظ شيئا من ذلك على رغم تفرسه الشديد فى وجهيهما

أخيرا قالت آستى وقد تماسكت نفسها بصعوبة

- ربما اشترت زوجتك ياسيدي أو احدى نسائك اذا لم ترد أنت شراء شيء

فقال رامس بغضب

- ألم أخبرك ايتها التاجرة انني غير متزوج وليس فى بيتي خيال امرأة ؟

فقالت بتواضع وكانت تتكلم دائما بصوت مصطنع

- نعم قلت ذلك ياسيدى فاصفح عنا اذا لم نصدقك فقد رأيت انا وابنتى أثناء رحلتنا كثيراً من الامراء الذين ينافى عملك هذا طبيعتهم ومع ذلك سنعرض عليك مامعنا من اللالىء لان أهل نابانا ليسوا كلهم بدون زوجات

أخرجت آستى دون أن تنطق بكلمة أخرى صندوقا من خشب السنوبر وفتحته ثم قدمت اليه اكليلا من اللالىء الكبيرة فقال رامس وهو ينظر اليها

- ما أجمله ولو أنه لايحق لاحد أن يلبس هذا التاج غير ملكة مصر العليا والسفلى المقدسة

ثم تنهد

قالت آستي

ـ كلا . أيها السيد . ان لزوجها الحق في لبسه أيضاً

فضحك ضحكة تنطوى على الحزن والالم وقاطعها قائلا

ـ ان هذا التاج يليق برأس آبى الغليظ أيتها السيدة

فلم تكترث آستى لقوله واستطردت في كلامها قائلة

ـ انه يليق برأس قائد فتح بلاداً عظيمة فان له أن يغتصب هذا التاج دون أن يجد من يعنفه لاسيما اذ اتفق ان هذا القائد من سلالة الملوك

فنظر رامس اليها بشدة وقال

ـ انك تتكلمين بكلمات غريبة ولكن لاريب فى انك القيتها جزافا . . ان هـذه اللآلىء لمن هم أغني مني فرديها الى الصـندوق ودعى هذه السيدة ابنتك تغني بعض الاغانى المصرية القديمة لانى مشتاق الى سماعها

فقالت آستى

ـ ليكن ذلك أيها السيد . ومع ذلك احفظ هذا التاج كهدية لانه صنع خصيصاً لك وقد تجد فيه فائدة . . . من يدري ؟ انى أقدمه اليك ثمناً لما تمنحه لنا من الحرية للاتجار فى بلادك . . كلا . ان لم تقبله فان ابنتى لاتغني

ـ اذن دعيه الآن جانباً وستتكلم بشأنه فيما بعد . أما الآن

فاسمعيني غناءكما

جاء دور كوكب فوقفت وتناولت العود وضربت على أوتاره الذهبية من تحت قناعها ثم أخذت تغني وقد تنكرت صوتها كما فعلت آستي بصوت هادئ عذب وأنشدت أغنية حب قصيرة لم تلبث أن انتهت

فلما فرغت قال رامس :

ـ هل لديك أغنية أطول من هـذه قليلا ؟ اذا كان لديك أيتها السيدة فانى أصغى لسماعها قبل أن أودعكما

فحنت كوكب رأسها وقالت بصوت خافت :

ـ اذا كنت تريد ذلك ياسيدي غنيت لك قصة شخص تجرأ على حب امرأة عظيمة وما أصابه على يد الهة غضبى

فقال رامس :

ـ غني . لقـد سمعت هذه القصـة . . . في مكان ما غـير هذا المكان

فضربت كوكب على أوتار عودها وغنت ثانية ولكن غناءها في هذه المرة كان بديعاً . وما كادت تغادر النغمات الاولى شفتيها حتى قام رامس من مقعده ووقف يحدق فيها النظر

استمرت كوكب في غنائها بالنغمة عينها التي غنت بها هـذه القصـة نفسها في قاعة وليمة فرعون بمدينة طيبة فذكرت دخول

الحب الى الهيكل أثناء الليـل خلسة وغضب الالهة عليـه وقتلها اياه ثم حزن الـكاهنة على حبيبها وعويلها عليـه ثم أسف الهة الحب وحنانها وردها اليه الحياة ثم قيام الحبيبين من الموت وصعودهما الى السماء فرحين جذلين يرتلان أغنية الفوز الى أن تلاشى صدى صوتها الرخيم بين جدران غرفة حبيبها رامس

أمسك رامس وهو يضطرب بوجه شاحب بأحد أعمـدة غرفته فى حين حلست كوكب وهى منهوكة القوى على مقعدها فوقع العود من يدها على أرض الغرفة

قال رامس وهو يلهث :

ـ من أين هذا العود ؟ لاريب في انه ليس هناك اثنان من جنسه فى العالم كله ؟ لقـد سرقت هـذا العود أيتها المرأة . . . ولـكن كلا . اذ كيف تسرقين النغمات والصوت أيضاً ؟ اصفحي عني أيتهـا السيدة . اعفي عني . ليست لديّ أقل فكرة سيئة ولـكن آه . . اسمحى لى . . وسأخبرك فيما بعد عن السبب . . اسمحي لى أن أرى وجهك

فرفعت كوكب ذراعيها وفكت قناعها فسقط تحت قدميها فبدت بمظهر أميرات مصر العظيمات . والتقت عيناه بعينيها الجميلتين فأخذ كل منهما ينظر الى وجه الآخر كانه فى حلم من الأحلام

وفي النهاية قال رامس :

ـ أية حيلة هذه . ان أمامي تقف كوكب آمون ملكة مصر المدهونة بالزيت . والعود الذي تحمله هو العود الذي أهداه اياها الامير أماتيل الذي قتلته تلك الليلة بحد حسامي . والصوت صوت ملكة مصر والاغنية أغنيتها . كلا . كلا . كيف يمكن ذلك ؟ انني مجنون . انكما ساحرتان جئتما لتهزآ بي وتسخرا مني لان كوكب ابنة آمون تحكم في بلاد بعيدة عن هنا ألوفاً من الاميال مع زوجها الذي اختارته وهو آبي عمها الذى قتل فرعون . . . اليكما عني أيتها الساحرتان والا أرسلت الى كهنة آمون الذي تسخران منه أيضاً ليلقوكما في النار

كشفت كوكب بهدوء وسكينة عن صدرها وأرته رمز الحياة الذى رسم على صدرها منذ ولادتها وقالت بصوت عذب رفيق :

ـ هل تظن انهم اذا مارأوا هـذا الرمز المقدس يلقونني في النار يا ابن مرمس ؟

ـ ولم لا ؟ اذا كنت تستطيعين الكذب فى شيء استطعت الكذب في كل شيء . ان التي استطاعت أن تسرق جمال ملكة مصر تستطيع أن تسرق رمز الاله

ـ قل لى يارامس هل سرقت أنت كذلك ذاك الخاتم الآخر الذى في يدك ـــ هدية ملكة على ما أظن ـــ وقد لبسه أحد

الفراعنة مرة ؟ وقل لي أيضاً كيف فقدت خنصر تلك اليد ؟ هل التهمها حوت مقدس وأنت صغير في بركة الهيكل في مدينة طيبة المقدسة ؟

فرغت كوكب من كلامها فحاول رامس الجواب ولكنه لم يستطع . فعادت كوكب الى الكلام وقالت :

ـ انني لا أستطيع أن أحمل هذا السيد على الاعتقاد بأنني ملكة مصر دون غيري فحاولي أنت يا أماه

نزعت آستي قناعها فنظر رامس الى وجهها النبيل ولم يلبث أن صرخ صرخة عظيمة قائلا :

ـ أمي . أمي . لقد أقسموا لي انك مت في مدينة ممفيس

ثم ألقى بنفسه على صدرها وأجهش في البكاء

فقالت آستي :

ـ نعم يارامس أنا أمك التي حملتك في بطنها دون سواي ومعي حبيبتك التي قضى عليها حبها لك أن تتجشم من أجلك الاخطار شهراً بعد شهر مدة عامين كاملين وتسير في الفيافي والقفار مستهدفة للأخطار ومطامع الرجال الى أن شاء آمون أبوها أن تأتي اليك سالمة في أمان . . . فهل صدقت الآن ؟

فقال رامس :

ـ نعم . نعم لقد صدقت

فقالت كوكب :

ـ اذن خذ أيها القائد الامين هذه الهدية من ملكة مصر وهي الهدية التى القيتها منذ هنيهة جانباً وكن صاحب التاج وسيدى

ثم رفعت تاج اللآلئ ووضعته على جبينه كما فعلت ذلك مرة في تلك الساعة ، ساعة الفجر لما وهبت نفسها له في مدينة طيبة

***

كان الليل قد أرخى سدوله . ولما فرغتا من ذكر قصتهما الغريبة قالت آستى :

ـ هذه قصتنا ياولدى . فمهما بحثت ومهما نقبت لا تجد لها مثيلا . الآن اذكر لنا أنت قصتك

فقال رامس :

ـ ان قصتى قصيرة يا أماه . فقد أطعت أمر جلالتها — ثم نظر الى كوكب وحنى رأسه اكراماً — وسافرت محاذياً للنيل الى هذه المدينة . ولما كان الملك القديم والد الامير أماتيل الحبشي قد أراد قتلى حاربتـه أولا بمساعدة الجيش المصرى ثم بمساعدة رعاياه الى أن تغلبت عليه وقتلته . ولم يأسف عليه أحد لانه كان ملكا شريراً . وهكذا خلفته فى الحكم ومن ثم أخـذت أعمل على اصلاح شؤون البلاد . وقد كنت أود الرجوع منذ

زمن بعيد الى مصر لاقدم تقريرى الى الملكة ولكن جواسيسي أبلغونى كل ماجرى هنا لك فاخبرونى مثلا بقتل فرعون بواسطة سحر آبى ورجاله وقالوا ان ابنة فرعون وكوكب آمون نسيت كل شيء ونسيت اليمين الذى أقسمته لى وتزوجت بعمها آبى الشيخ لكي تحتفظ بحياتها وقوتها

فقالت كوكب بلهجة التأنيب .

ـ وهل صدقتهم يا رامس ؟

ـ ماذا كنت أفعل غير ذلك أيتها السيدة بعد أن سمعت جواسيسى يقسمون بأغلظ الايمان أنهم شاهدوا جلالتك جالسة على عرشك فى ممفيس وفي غيرها وانك كنت ترسلين آبى هنا وهناك كالكلب الصغير وهو يطيع أمرك في كل شيء ؟ ومن أين لى أن اعرف أن « روحك » هى التى تزوجت بآبى ولست أنت ؟

فقالت كوكب :

ـ أظن ان آبى قد عرف الحقيقة الآن . ولكن الآن ما العمل ؟

ـ هل لك ان تتزوجى بى أولا أيتها السيدة ؟ وبعد ذلك تتدبر فى الامر

ـ نعم لا بد أن أتزوج بك كما وعدتك ولكني لا أتزوج بك الا فى مكان واحد هو هيكل آمون فى مصر . أرجع لى

عرشى أولا ثم اطلب يدي

ـ سيكون ذلك ولو انني لا أدري كيف يمكن الوصول الى هذه الغاية اذ أرى غيرك جالسة على عرشك وربما ترفض مغادرته

فقالت آستى :

ـ سنرسل اليها رسالة ياولدي . الآن دعنا لاننا نريد النوم

فقال رامس وقد همّ بمغادرة الغرفة

ـ أين رسولك يا أماه ؟

ـ أتعرفنى كل هـذه السنين الطويلة ياولدي ولا تدرى ان لدى خداماً لا تستطيع رؤيتهم ؟

***

انتصف الليل فقامت آستي وكوكب فى غرفتهما فى قصر رامس وركعتا جنباً الى جنب وأخذتا تصليان الى آمون أبي الآلهة ولما فرغتا من صلاتهما قامت آستى وألقت الكلمات الرهيبة التي ألقتها من قبل فى البرج فى ممفيس وهى الكلمات التى علمتها اياها روح أهورا المقدسة

سمع صوت خافت يهمس ثم صوت كرفرفة أجنحـة الطير ثم ظهر فى الظل الواقع وراء المصباح سحابة تجمعت ثم أخذت تضيء تدريجياً الى أن تحولت الى شكل امرأة من سلالة الملوك ترتدي ثياب ملكة مصر وحليها ، يشبه وجهها وجه كوكب

الصباح الا أنه كان بعيداً عن معنى الحياة

وقف هذا الخيال أمامهما ساكتاً ينظر اليهما بعينيه اللامعتين فقالت آستي :

ـ من أين أتيت أيتها الروح ؟

ـ من المكان الذى تلقيت فيه أمرك ياسيدة الاسرار ، من منزل آبى في مدينة طيبة حيث يحكم هناك كفرعون مصر

ـ كيف حال آبى وحال مصر ؟

ـ ان حال آبى سيئة . فهو يقضي أيامه في الآلام والمخاوف والاحزان ولا يعرف معنى للسعادة . أما مصر فحالها حسنة ولم تبلغ من قبل ما بلغته اليوم من المجد والسعادة . لقد قمت ب فرضته علىّ ياصاحبة القوة والآن أريد أن أستريح فى ذاك الجسم الذى خرجت منه

ثم أشارت الى كوكب وهى واقفة تراقب مايجري فقالت آستى :

ـ لم يحن الوقت بعد أيتها الروح اذ لا تزال أمامك مهم أخرى بعدها تستريحين فى سلام وأمان الى يوم يبعثون . اصغ الىّ : عودى الى مدينة طيبة واذكرى قصة كاذبة أمام آبى ومستشاريه فقولى ان رامس القائد المصري استولى على زما الحكم في الحبشة ونادى بنفسه ملكا على مصر بحق الجنسي

وأعلن انه زوجك بناء على وعد فرعون . ثم احملى آبى على ان يحشد جيشاً جراراً ويسير جنوباً ليقضي على رامس . وعليك ان تسرى فى آذان قواد الجيس انفرعون وعد حقاً بزواجك برامس برضاك وبأمر آمون أبى الالهـة وروحك وقولى لهم ان آمون قد غضب على آبي بسبب جريمته التى اقترفهـا كما سيريهم المعبود ذلك فى حينه واذ الذين يثورون في وجهـه ينالون حب آمون ورضاه . وسيقابل رامس جيش آبى عند « باب الجنوب » حيث يجرى النيـل شمالا بين سورين عظيمين من الصخور . وستأتي معه التى أنت جزء منها وأنا التى يجب ان تطيعيني . وقـد يأتى معنا من هو أعظم مناجميعنا . وستنتهى مهمتك عند «باب الجنوب» واذ ذاك تجدين الراحة التي تنشدينها

فقالت « الروح » بصوتها الهادىء

ـ سمعت أمرك وسأطيع . فقط عليك يا سـيدة الأسرار وفاعلة « الارادة المقدسة » ان لاتبطئي مخافـة ان يحملني المال على العودة الى مكاني كشعلة من نار تدمر مافى طريقها وتحرقه

ثم تلاشى الخيال بعدئذ كما ظهر

***

أشرقت شمس الصباح على مدينة طيبة فجلس آبي فى قاعـة فرعون الـكبرى ينظر فى شئون البلاد وبجانبه كا كو وزيره

وكانت علامات الكآبة والحزن والشقاء تبدو على وجه آبى منذ قتل فرعون فى مدينة ممفيس فى حين صار كاكو شيخاً طاعناً تضطرب رجلاه اذا مشى

قال آبى بملل :

ـ ألم نفرغ بعد من أعمالنا ؟

أجاب كاكو :

ـ كلا . أيها السيد العظيم . ان أمامك أعمالا تكفي لاشتغالك الى وقت الظهر وبعد ذلك عليك ان تستقبل مجلس الدولة والسفارات

ـ لا أقابلهم . دعهم ينتظرون الى يوم آخر . هل تريد أن أشتغل حتى أسقط ميتاً أيها المخادع . انني لم أعرف معنى الراحة أو السلام منذ تلك الايام السعيدة التى قضيتها كما كم مدينة ممفيس .

لحنى كاكو رأسه وقال بتواضع :

ـ سواء كنت تشعر بملل أو لاتشعر فان عليك ان تستقبلهم لان هذا أمر الملكه التى لايعصى لها أمراً

فدار آبى بعينيه في أنحاء الغرفة وقد دب الخوف الى بدنه وقال

ـ الملكه ! آه ياكاكو . ليتنى لم أر هذه الملكه . اعلم ياكاكو انها ليست امرأة كما تعلم جيداً بل شيطانة ذات قلب من

تلج تحوى خداع الحية القتال . انني أدعى فرعون ولكني لست الا أداة أنفذ ارادتها وأوامرها وأدعي زوجها ولكنها ليست زوجة لى أو لغيرى ولو ان الجميع قد وقعوا في شرك غرامها وكتب على كثيرين منهم الموت لاجلها . لقد اختفت ليلة امس مرة أخرى وهي جالسة بجانبى تلقى علىّ أوامرها وبعد مدة وجيزة ظهرت بجانبي ثانية كما كانت الا أنها كانت تشعر على مايظهر بشيء من التعب . وقد سألتها أين كانت فقالت انها كانت فى مكان لا أصل اليه قبل عام لزيارة حبيب تحبه بقدر ماتبغضنى . . . ترى من يكون هذا الرجل يا كاكو ؟

ـ اظن انه رامس يا سيدي الذي جعل نفسه ملكا على بلاد الحبشة . انها بلا مراء كانت تحب الرجل وهي فتاة . أما الآن فان آلهة الشر وحدها هي التى تعرف حبيبها . اننا فى قبضة يدها فلا مندوحة من الاذعان لارادتها وان لم نفعل متنا يا سيدي لان فرعون ينتظرنا وراء الك الباب

تأوه آبي عند سماع هذه الكلمات بصوت عال ومسح العرق الذى كان يتصبب من جبينه بطرف ثوبه ثم قال :

ـ لقد نطقت بالصواب . اذهب راجع الكتبة ثم هيا ننفذ أمر الملكة .

قام كاكو لينفذ أمر آبي ولكنه لم يكد يخطو خطوة حتى دخل الحجاب وقالوا :

ـ ان صاحبة الجلالة تنتظر فى الخارج مع جمهور كبير وهي تطلب المثول بين يدى زوجها فرعون المقدس ملك مصر العليا والسفلى .

فنظر كل من آبي وكاكو الى الآخر وبدت فى أعينهم علامات اليأس والقنوط . وأخيراً قال الملك بصوت خافت :

ـ دعوا جلالتها تدخل

فخرج الحجاب ولم تمض مدة وجيزة حتى دخلت الملكة بثيابها الملوكية . وكانت فتانة فى منظرها ، فتانة في جمالها ، فتانة فى لباسها وحليها البديعة

سارت الملكة وسط القاعة ترافقها مرتيرا وهى تحمل مروحتها اذ أرادت الملكة ان لاتستريح هذه المرأة ليلاً أو نهاراً وأن تبقى دائما فى خدمتها حتى ذهب ما كان على وجهها من علامات الجمال بسبب ما أصابها من المخاوف والآلام . ثم جاء خلف مرتيرا رجال الحرس ورؤساء الكهنة يليهم أعضاء المجلس وقواد الجيش

سارت الملكة الى أن وصلت الى العرش الذى جلس عليه آبى ثم ركعت أمامه وقالت :

- انني جئت كزوجة أمينة مخلصة لاتوسل الى فرعون زوجي وأطلب اليه أمنية أرجوها بحضور مجلسه .

فقال آبي :

- قومي وتكلمي أيتها السيدة العظيمة فانه لايليق أن تركعي أمامي

- كلا . انه يليق بامرأة فرعون أن تركع أمام زوجها اذا أرادت أن تنال رضاه

بيد انها قامت وجلست على كرسي أعد لها ثم قالت :

- رأيت أمس رؤيا يافرعون : رأيت الاميررامس بن مرمس آخر سلالة أولئك الفراعنة الذين حكموا مصر أخيراً ، رامس الذي قتل الامير أماتيل فى هذه الغرفة عينها وأرسلته أثناء مرض فرعون والدي الى نابآتا ليحاكمه ملك الحبشة فخلع ذاك الملك على مايظهر وقتله واستولى على بلاده باسم مصر — رأيت في المنام ان هذا الرجل الباسل والقائد القادر وضع خطة لشن الغارة على مصر وليقتلك أيها الملك العظيم ثم ينادى بنفسه ملكا على مصر بحق دمه القـديم بل وليفعل أكثر من ذلك وهو أن يتخذ زوجتك الوفية المخلصة زوجة له ويستولى بذلك على العرش

فقال آبى :

- لاريب أيتهـا الملكة في ان رامس هـذا الثائر يفكر في

ـ أرى نوراً يضيء في داخلي . وقد شاهدت ان الرؤيا الثانية التى رأتها صاحبة الجلالة هى الرؤيا الصادقة . فعليك أيها الملك أن تسير بجيشك الى « باب الجنوب » وهناك تلتقي بذاك المغتصب رامس لكي تصل هذه الامور الى نهايتها المعينة

فصرخ آبى قائلا :

ـ نهايتها المعينة ؟ أية نهاية تعني ؟

فقال كاكو :

ـ هي النهاية التي ذكرتها صاحبة الجلالة ورأتها فى المنام . وعلى كل حال أشعر بشيء يدفعني الى القول بأنه يجب عليك أن تسير بجيشك الى « باب الجنوب »

فصاح آبى قائلا :

ـ كم أود أن تخسف بك الارض أيها العالم الشرير ! لم أقض غير عامين في الحكم ومع ذلك حاربت فى خلالهما ثلاث حروب احداها ضد ملك سوريا والاخرى ضد سكان الصحراء والثالثة ضد البرابرة الذين أغاروا على الدلتا . والآن تطلب الىّ وقد صرت شيخاً هرماً أن أتجشم مخاطر حرب أخرى ضد أبناء الحبشة الابطال . ولكن ليأت هذا الكلب رامس فلا بد أن أشنقه هنا عند أبواب مدينة طيبة

فقال كاكو :

ـ كلا . كلا أيها الملك . انني كلفت أن أخبرك بأنه يجب عليك أن تشنقه فى الصحراء . . هذا تفسير الرؤيا وهذا أمر الآلهة

فقالت الملكة بصوت الظافر :

ـ لقد تكلمت الآلهة بلسان نبيها . الآن هيا تتأهب أيها الملك وأنتم أيها الكهنة والمستشارون والقواد للسفر الى باب الجنوب وهناك نشنق الكلب رامس في الصحراء فتنجو مصر وملكها وملكتها من الاخطار وتبقى في سلام وأمان ونقتسم ثروة مدينة الذهب بيننا

فقال الكهنة والمستشارون والقواد وكاكو وقد صاح رغم ارادته فى هذه المرة أيضاً

ـ نعم . نعم هيا بنا الى « باب الجنوب » وبرفقتنا جلالة الملكة

فقالت الملكة :

ـ نعم سأرافقكم فانني لا أحجم عن شىء يقدم عليه زوجى المحبوب . سنبحر فى أوائل الشهر

***

فى تلك الليلة وقف كاكو وآبى وجهاً لوجه فقال الملك :

ـ ماهـذا الذى فعلت يا كاكو ؟ هـل نسيت الكلمات التى ذكرها فرعون الميت لي في تلك الرؤيا المزعجة التى رأيتها فى ممفيس عنـد ما أمرنى أن أحظى بالملكة التى أردت أن أتخذها زوجة لي ؟ ألا تتذكر انه أمرنى أيضاً أن أحكم بحقها حتى أقابل رامس

ابن مرمس ومعه شحاذ يحمل رسالة الىّ ؟

فأجاب كاكو بصوت خافت :

- نعم أتذكر

- اذن ماهى تلك الرسالة أيها الرجل الذى سيحملها الى رامس أو الشحاذ ؟ أليست رسالة موتي وموتك وموتنا جميعاً وقد فرغنا من تشييد قبورنا أمس ؟

- قد يكون ذلك ياسيدى

- اذن لماذا فسرت حلم الملكة بأنه يجب علىّ أن أذهب الى ناحية الجنوب للقاء رامس هذا عينه . . . وألقى حتفى ؟

فتأوه كاكو وقال :

- لانى لم أستطع أن أقول غير ذلك. فقد أكرهنى هذا الروح الذي يسمي الملكة على أن أقول ماقلت . لقد وقعنا في شرك القدر فلا مفر . . مالم . . مالم تجرؤ . .

ثم نظر نظرة ذات معنى الى السيف المدلى بجانب فرعون فقال آبى :

- كلا . يا كاكو . لا أستطيع . لنقض الايام الباقية من حياتنا ولنستقبل مايقضى به القدر فيما وراء الباب

فتأوه كاكو وقال :

- نعم فيما وراء « باب الجنوب » حيث سنلتقى برامس المنتقم وذاك الشحاذ الذي يحمل الينا رسالة

الفصل الثامن عشر

عاقبة الظالمين

انقضت على هذه الحوادث ثلاثة شهور . وكان جيش فرعون معسكراً وراء « باب الجنوب » وسفنه العديدة راسية على شاطىء النيل . وقد تأهبت الجنود للقتال اذ علم آبى من العيون والارصاد التى بثها أن رامس ملك الحبشة يزحف شمالا بسرعة مع جيش صغير . وكان الملك يطمع في قهر خصمه والتغلب عليه بدون كبير مشقة وكانت الملكة المروعة تشاطره هذا الرأى وتشدد عزيمته

وفي مساء ذات يوم علم جيش فرعون أن جنود رامس ظهرت واحتلت الجبال الواقعة على ضفة النيل اليمنى وعسكرت حول هيكل آمون الذى شيد هناك منذ ألوف من السنين . فقالت الملكة :

ـ حسن . سيخرج فرعون الى لقائه غداً ويضع حداً لهذا الامر . أليس كذلك أيها الملك ؟

ثم نظرت اليه بعينيها البراقتين فقال آبي :

نعم . نعم . سأنقض عليه غداً انقضاض الصاعقة . لقد عيل صبري وتقت الى العودة الى طيبة

ثم قال بصوت المرتاب :

ـ ومع ذلك أرانى أشك فى نفسى ولا أدرى لماذا . . . لماذا تنظر في السماء يا كاكو وماذا ترى ؟

تحولت أعين الجميع نحو كاكو الوزير فرأوه على قلق واضطراب عظيمين وقد رفع أصبعاً يرتجف نحو السماء وقال :

ـ انظروا

نظروا فرأوا نجماً ساطعاً فى السماء بشكل غريب وبجانبه نجم آخر معتم ورأوا كأن النجم الاول قد حجب الثانى

قال كاكو بصوت تضطرب نبراته :

ـ هذا نجم آمون ونجمك أيها الملك وقد أخذ نجم آمون يحجبه . وسيذهب نجمك ويتلاشى فلا يراه أحد . آه يا آبى . ان هذا ماتنبأت به منذ أعوام وها قد وقع . ان يومك قد انقضى وساعتك قد حانت

فثار غضب آبي وقال وهو يضطرب :

ـ اذا كان الامر كذلك فثق أيها الكلب بأن نصيبك سيكون نصيبي

وبينما كان آبي يتكلم سمع صراخ وعويل يقترب ولم تمض

لحظة حتى دخلت مرتيرا زوجة كاكو وسطهم وصاحت قائلة :

- انتقام الآلهة . انتقام الآلهة . أصغ اليّ يا آبى . كنت نائمة فى خيمتى الآن وقد مضت مدة طويلة لم أذق طعم النوم فرأيت خيال فرعون الميت الذي قتلناه بسحرنا فقال لى : « اخبرى آبى السفاح والساحر كاكو زوجك انني أدعوهما الى مقابلتى قبل أن تغرب شمس يوم آخر وتعالي أيتها المرأة معهما » ... ان الموت قاب قوسين أو أدني يا آبى . . . الموت وانتقام الآلهة

ثم سقطت وقد أغمي عليها

اضطرب آبى وكاد يذهب عقله من شدة الخوف وصاح قائلا :

- انهم سحرة يريدون سحرى . خذوهم واجلدوا كاكو الى أن يثوب الى رشده . سأشنق هذا الساحر مع رامس غداً

فضحكت الملكة لقوله وأمنت على كلامه قائلة :

- نعم . نعم أيها الملك العظيم . غداً اشنق هذا الساحر اللئيم مع رامس جنباً الى جنب . لاتخف . سيكون ذلك مهما حدث

***

أفاقت مرتيرا من أغمائها وكانت نائمة في فراشها فرأت امرأة قد دخلت عليها ووقفت بجانبها . فنظرت اليها فاذا هى الملكة وقد خاطبتها هذه بصوت خافت قائلة :

ـ أصغى الىّ يامرتيرا . أخبري آبي أن الوقت قد حان لمغادرته وأنه اذا أراد أن يرى كوكب الصباح ابنة آمون وملكة مصر فلينشدها في معسكر رامس فهناك يجدها في هيكل آمون المشيد فوق الجبل فى وسط المعسكر

ثم ذهبت

فقامت مرتيرا من فراشها ونادت رجال الحرس وطلبت اليهم أن يرافقوها الى آبي . وكانت تصرخ وتنادى قائلة ان لديها رسالة الي الملك يجب تبليغها اليه فى الحال . فذهب أحد الرجال وأبلغ آبى قولها فخرج اليها وقال :

ـ ماوراءك أيتها الساحرة ؟ هل رأيت أحلاماً أخرى سيئة ؟

فقالت مرتيرا :

ـ كلا أيها الملك . ان الملكة فرّت الى رامس

ثم ألقت عليه ما قالته الملكة كلمة كلمة

فقال آبى :

ـ هذا كذب . كيف استطاعت أن تجتاز نطاقاً مؤلفاً من ثلاثة صفوف من الجنود ؟

ـ ابحث عنها اذن يافرعون تعلم صدق قولى

فبحث آبي عن الملكة فلم يجد لها أثراً مع أنه لم يرها أحد ولم يرافقها احد

وبينما هم يبحثون وينقبون عن الملكة اثناء الليل شاهدوا في ضوء القمر رجلا فى ثياب رثة يحمل عكازاً فى يده وقدسقطت لحيته البيضاء الي وسطه وهو يسير ذهاباً واياباً حول المعسكر فقال آبى :

ـ من هذا الرجل ؟

فصاح الخيال بأعلى صوته قائلا :

ـ اسمعوا أيها المستشارون والقواد والجنود ورجال مصر قول آمون وأصغوا الى أمره بلسان رسوله كيفر الرحالة : لا ترفعوا سيفاً في وجه رامس ملك الحبشة لانه خادمي وسيكون ملكا عليكم وزوجاً لملكتكم وأباً لملوك سيأتون . اقبضوا على آبى المغتصب وقاتل فرعون أخيه وعلى كاكو الساحر ومرتيرا الخائنة وقودوهم وقت الفجر الى هيكلي فى ذلك التل حيث أعلن أوامرى لكم في معبدي وبهذه الوسيلة تعيشون فى سلام وأمان وترفل بلادكم فى حلل السعادة والهناء

سمع آبى هذه الكلمات الرهيبة وتذكر نبؤة فرعون الميت عن شحاذ يأتيه برسالة فجرد سيفه وحمل على كيفر ولكن ماكاد يصل اليه حتى كان الرجل قد اختفى . ثم لم يلبثوا أن سمعوه فى مكان آخر يعلن رسالته هذه فذهبوا اليه وكان ينادى بحكمه فوق السفن . ثم رأوه وهو يتنقل من سفينة الى أخرى

صاح الكهنة قائلين :

ـ الآلهة هي التى تتكلم . لنطع أمر الآلهة

ثم هجموا على آبى فجأةوشدوا وثاقه وفعلوا بكا كوومس تيرا كذلك وانتظروا طلوع الفجر . أما الرجل الطويل ذو اللحية البيضاء الذي كان يرتدي ثياب شحاذ فلم يروا له أثراً ولم يسمعوا له صوتاً

***

في تلك الساعة عينها كانت كوكب الصباح نائمة فى احدى غرف الهيكل فوق النيل . وكانت آستى تراقبها فأحست بريح باردة تهب فى الغرفة فنظرت فرأت خيالا تعرفه جيداً وهو طيف كوكب الصباح النائمة فى فراشها

فقالت آستى :

ـ من أنت أيتها الروح ؟

أجابت :

ـ أريد أن أستريح . ان مهمتى قدانتهت وقد حلّ بى التعب والملل . ألقى كلمات القوة السرية التي تعرفينها ودعينى أرجع الى التى خرجت منها لانام في صدرها الى اليوم العظيم ، يوم القيامة

فقامت آستى وألقت الكلمات السرية الرهيبة . وبينا كانت تتكلم كان الخيال يزداد اضمحلالا شيئاً فشيئاً حتى تلاشى . واذ ذاك قامت كوكب وجلست في فراشها ثم مدّت ذراعيها وتنهدت

ثم عادت فنامت نوماً عميقاً الى الصباح . ولما استيقظت سألت عما أصابها اذ أحست بأنها تغيرت . فأجابتها آستي قائلة :

- ان « الروح » التى خرجت منك أيتها الملكة بأمر آمون قد عادت اليك ثانية بعد انتهاء مهمتها . قومي تزيني والبسي حليك لان هذا يوم نصرك وزواجك

خرجت كوكب عنـد شروق الشمس وهى أبهى من جمال الصبح فوجـدت رامس فى انتظارها على أبواب الهيكل وهو يلبس درعه . واذ ذاك سمع من خلال الضباب المخيم على سفح التل صوت يشبه صوت جيش سائر . فنظرت كوكب الي حبيبها وعلى فمهـا ابتسامة رقيقة وفى عينيها الزرقاوين معنى الحب مجسما وقالت :

- ما هذا الصوت يا رامس ؟

فحنى رأسه أمامها وقال :

- أظن أن آبي قد هاجمنا يا سيدتى . اني أخشى عليك لان رجالنا قليلون ورجاله عديدون

فقالت بصوت عذب وتلك الابتسامة الرقيقة لاتزال مرسومة على فمها :

- لاتخف آبي ولا غيره يارامس . ولو أنه عليك فى هـذا اليوم أن تفتقد حريتك

فعجب رامس لقولها . وقبل أن يجيبها بكلمة رأى ضابطين من ضباط المخافر الامامية يسرعان نحوه . ولما وصلا قدما الى الملكة واليه التحية العسكرية ثم قال أحدهم :

- في الخارج كهنة ورسل جاءوا من جيش آبي

فقال رامس :

- ادع الضباط ودعهم يدخلون ولكن احذروا جميعكم لئلا يكون هذا الوفد جاء لتنفيذ خدعة حربية . تعالى أيتها الملكة فانه يجب أن يخاطبوك أنت دون سواك لانني لست الا قائداً لجنودك فى بلاد الحبشة التى هى بلادك

ثم تبعها الى الرحبة الداخلية من الهيكل أمام المذبح حيث وضع كرسى جلست عليه كوكب كملكة عظيمة

دخل رجال آبى يتقدمهم ضباط رامس وكانوا يحملون معهم ثلاث نقالات مغطاة .وقد لاحظت كوكب ورامس بينهم أكبر قواد مصر ورؤساء كهنتها وقد قدم هؤلاء فروض التحية للملكة وركعوا أمامها عدا الجنود الذين كانوا يحملون النقالات. وبعدئذ تقدم رئيس كهنة آمون فى ممفيس ووقف أمام كوكب مطأطأ الرأس الى أن أمرته بالكلام فقال :

- بعد أن غادرت معسكرنا ليلة أمس يا ابنة آمون جاءنا رسول من أبى الآلهة . . .

فقاطعته كوكب قائلة :

ـ قف عن الكلام يارئيس الكهنة . لم أغادر معسكركم ولم اكن بينكم ولم تطأ قدماي أرض مصر المقدسة منذ عامين . نعم لم اكن بينكم منذ هربت من ممفيس لانقذ حياتى من الموت أو مما هو أمر وأدهي وهو عار زواجى كرهاً بعمى آبي قاتل فرعون

فحول رئيس الكهنة رأسه ونظر الى من كانوا خلفه فنظر الجميع الى الملكة

قال الكاهن

ـ عفواً أيتها الملكة . كيف يكون ذلك وقد رأينا جلالتك في خلال هذين العامين بيننا يوما بعد يوم كزوجة آبى ؟

فنظرت كوكب اذ ذاك الى آستى وكانت واقفة بجانبها . فنظرت هذه الى رئيس الكهنة وقالت

ـ انك تعرفنى . أليس كذلك ؟

أجاب

ـ نعم ياسيدتي اننا نعرفك فانت زوجة رمس آخر فرع من شجرة ملوكيـة ووالدة الامير رامس الذي حثنا لمتابانه . اننا نعرفك حق المعرفة يا سيدة السحر والاسرار فى مصر . لقد اعتقدنا بانك مت في هيكل « سخت » في ممفيس حيث مات فرعون ولكن عرفنا الآن انك تمكنت من الفرار من هناك بسحرك

فنظرت آستى الى النقالات وقالت

- ماذا تحملون معكم هناك ؟

فقال رئيس الـكهنة

- تقدموا بالاسري

فرفع الجنود السـتار عن النقالات وأوقفوا آبي وكا كو ومرتيرا وهم مشدودي الوثاق على أقدامهم امام الملـكة

فسألت كوكب بلهجة تنطوى على الغضب والاحتقار قائلة

- هل هؤلاء قتلة فرعون أبى الذين كانوا يريدون ذلى وعارى؟ لماذا جئتم بهم أمامي ؛

فقال رئيس الـكهنة

- لان رسول الآلهة وهو رجل في ثياب شحاذ أمر بذلك يا صاحبة الجلالة . وقد جئنا بهم لمحا كمتهم على قتل فرعون المعبود أبيك

فقال آبى

- هل تجلس زوجة لمحا كمة زوجها ؟

فقالت كوكب

- لم اكن زوجتك أيها الرجل اذ كيف اكون زوجتك مع انني لم أر وجهك منذ مات فرعون ؟ اصغوا الى قصتى الغريبة أيها الحاضرون لقد وهبني آمون يوم ولادتى « روحاً » في داخلى

لتحميني من جميع الاخطار . وقد أحدقت بي المشاق والاخطار فالقت آستي والدتي من الرضاعة ومربيتي الكلمات الرهيبة التي علمتها اياها روح أهورا المقدسة أمي واستخرجت « كا » روحي وتركتها مكاني لتكون زوجة آبي . أما أنا فقد أنقذني آمون أبي ومعي آستي وحملنا في سفينة الشمس (رع) الى بلاد بعيدة وحمانا من أخطار عديدة الى أن وصلنا في النهاية الى مدينة ناباتا حيث وجدنا خادما أميناً اتفق انني . . . أحبه

ثم نظرت الى رامس وتبسمت ثم عادت الى الكلام فقالت .

ـ وكانت « روحي » في خلال تلك المدة تقوم بالاعمال التي عهدت اليها فخدمت في مصر بدلا مني وجرت آبي الى هلاكه على انها عادت الي ليلة أمس ولن يراها أحد الاهم الا في قبري بعد موتي . احكموا الآن وانظروا باعينكم هل قصتي صادقة وهل أنا حقيقة كوكب الصباح ابنة آمون

ثم فكت ماحول صدرها من الثياب وارتهم الرمز المقدس الذي طبع على صدرها وقالت

ـ أن رئيس كهنة آمون يعرف هذا الرمز لانه رآه يوم ولادتي

فاقترب الكاهن الشيخ ونظر الي العلامة وقال

ـ نعم هو رمز الحياة بعينه.هنا تضيء كوكب آمون دون غيرها . ومع ذلك لايزال الامر ملتبساً علينا . قصي علينا القصة يا آستي .

فتقدمت آستى وقصت القصة بحذافيرها أمام الجميع دون أن تنسى حادثاً صغيراً منها . وبعد مافرغت قص رامس قصته كذلك ثم أضافت كوكب اليها كلمات قليلة . ومع ان الشمس كانت قد ارتفعت فى السماء فانه لم يشعر أحد من الحاضرين بعلل الاهم الا آبي وكاكو ومرتيرا . ولا عجب فقد كانوا يسمعون الحكم عليهم بالموت فى كل كلمة سمعوها

انتهى الجميع من قصتهم وخيم سكوت عظيم على المكان . وكان رئيس الكهنة واقفاً مطأطئ الرأس فى كل تلك المدة فرفع عينيه فى النهاية نحو السماء وقال بصوت جهورى

ـ أظهر ارادتك الآن أيها المعبود آمون والد روح هذه الملكة وأعلن مشيئتك لكي نذعن لها ونطيع

ساد السكوت لحظة ثم سمع فجأة صوت داخل المذبح المظلم حيث شيد تمثال المعبود يشبه صوت دق بطرف عصا على أرض المذبح المصنوعة من الجرانيت . وبعد هنيهة فتحت ستائر المذبح وظهر من بينها رجل هرم بلحية بيضاء طويلة وعينين منحجرتين يرتدي ثياب شحاذ . وكان هذا الرجل هو الرجل نفسه الذى قابل كوكب وآستى في الصحراء وأكل طعامهما . وهو الذى أنقذهما من يد ملك الصحراء . وهو الذى كان ليلة أمس فى معسكر آبي

فشخصت نحوه جميع الانظار وانتظر الكل أمره فقال :

ـ اسمعوا . أنا الرسول الذى يدعني الناس من البداية كيفر . أنا ساكن الصحراء الذى يعرفه أجدادكم وسيعرفه أبناؤكم . أنا الباحث عن أعمال البر والاحسان وأجازي عليها في الحياة وفي الممات . أنا قلم « ثوث » المحصي . أنا سوط أوزوريس . أنا صوت آمون الاله الذى هوفوق الآلهة . اصغوا الىّ ياشعب مصر : لم تحدث هـذه الامور لأمر تافه ولـكن لـكي تعلموا ان في السماء أموراً تدبر وفى الارض عدالة وبعدها حساب ودينونة . لقـد قتل فرعون خادم الالهة قتلة شنيعة على يد أخيـه موضع ثقته ، وعرّضت كوكب الصباح ابنته وابنة آمون للذل والعار ، وأرسـل رامس سلالة الملوك الى تجشم الأخطار أو الى الموت بعيداً عن التى أحبها وأحبته بمقتضى ارادة ذاك المعبود المقدس الذي يهيمن على الافئدة ويسيطر على القلوب . . اسمعوا ارادة الآلهة — ليقترن رامس بن مرمس بكوكب الصباح ابنة آمون وليحكما مصر كارث لهما ولاولادهما من بعـدهما . أما هؤلاء السحرة والسفاحون — ثم أشار الى آبى وكاكو ومرتيرا — فليوضعوا داخل مذبح آمون حيث ينتظرون ماينقضى عليهم به

أبلغ كيفر رسالته ثم ذهب من حيث أتى فلم يره بعدها أحد أخـذوا آبي وكاكو ومرتيرا وفكوا قيودهم ثم ألقوهم في

ظلام المذبح أمام تمثال الاله الحجرى العظيم ثم قفلوا الابواب وتركوهم فى الداخل وهم يبكون ويصرخون

جاءت آستي فى صباح اليوم التالى وفتحت أبواب الهيكل ثم نظرت داخل المذبح فرأت منظراً مروعاً ذلك انها شاهدت آبى الذى قتل أخاه وكاكو الساحر ومرتيرا الخائنة مطروحين على الارض وقد انتحروا أو قتل بعضهم بعضاً وعينا المعبود الحجريتان تنظران اليهم

***

أما كوكب ورامس فقد احتفل بزواجهما احتفالا عظيما فى هيكل آمون حيث وضع رئيس الكهنة يد كل منهما فى يد الآخر وأعلن زواجهما ثم باركهما بين هتاف الشعب وأفراحه

ولما فرغت الطقوس الدينية خرج فرعون وزوجته الملكه فى مركبة ذهبية سارت بهما بين جيوش مصر التى حيتهما قبل سفرهما شمالا الى مدينة طيبة

وفى المساء عادا الى الهيكل وجلسا جنباً الى جنب فى مأدبة العرس . وقد ضربت الملكة كوكب الصباح مرة أخرى على عودها المصنوع من العاج والذهب وأنشدت تلك الاغنيه القديمة . أغنية المحب الذى صبر فنال

وهكذا كانت نهاية الحب الصادق

(انتهت)